

في مولد الإمام الحجة
عجل الله تعالى فرجه الشريف

تأليف:

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

أعلى الله درجاته

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لم تعد فكرة الإيمان بالمهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) مقصورة على الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام فقط، بل يؤمن بها المسلمون كافة، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، بعد ما بشر به رسول الله صلوات الله وسلامته عليه بما لا يعد مجالاً للشك في ذلك. فقد فاضت كتب الفريقين من الشيعة والسنة بالبشارة بخروج المهدي المنتظر عليه السلام ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وكذلك ليقيم دولة العدل الإلهي وينشر دين الله على أرجاء المعمورة، فلا تعد بقعة لا يرتفع منها نداء: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله).

كما أن هذه المسألة لم تكن من بشارات الإسلام ونبيه صلوات الله وسلامته عليه فحسب، بل هي مما بشرت به الديانات الإلهية التي سبقت ظهور الإسلام بقرون مديدة، بحيث نرى أن أتباع هذه الديانات اليوم ينتظرون قدوم المخلص لهم بفارغ الصبر.

وعلى العموم، فإن مسألة الإيمان بالمنقذ والمخلص - وإن

اختلفت التسميات - هي حلم البشرية كافة على اختلاف عقائدها، حتى أشدها إلحاداً كالماركسية والتي لا تؤمن بالغيب، فقد وعدت أتباعها وبشرتهم باليوم التي تسوى في الخلافات، ويسود الوئام والمحبة بين البشر كافة، فلا ظالم ولا مظلوم، بل يعيش الجميع آمنون مطمئنون.

لقد رسم الإسلام معالم وصورة هذا المنقذ الذي سيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً من خلال الآيات القرآنية المجيدة، وما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث شريفة، وما صدر عن أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام من روايات جلييلة، تصف الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وتحدد ملامحه، وماهية الدور التغييرية والإصلاحية الذي أنيط به ليتمكن من إقامة العدل والقسط في جميع أرجاء الدنيا.

قال تعالى: [ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون]^(١).

وقال سبحانه: [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»^(١).

وقال جل جلاله: [ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين]^(٢).
إلى غيرها من الآيات الكثيرة والتي فسرت جميعها بالمهدي المنتظر (صلوات الله عليه).

وقال رسول الله ﷺ: «إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي». قيل: يا رسول الله ﷺ، ومن أخوك؟ قال ﷺ: «علي بن أبي طالب». قيل: فمن ولدك؟ قال ﷺ: «المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق نبياً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم؛ حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»^(٣).

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) سورة القصص: ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٧١ ب ١ ح ١٢.

كما حدد رسول الله ﷺ اسمه وكنيته، وأنه أشبه الناس به
ﷺ خلقاً وخُلُقاً، وأنه من ولد فاطمة عليها السلام. فقال ﷺ:

«القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله
شمائلي، وسنته سنتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي،
ويدعوهم إلى كتاب الله عزوجل، من أطاعه أطاعني، ومن عصاه
عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبنى،
ومن صدقه فقد صدقني، إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره،
والجاحدين لقولي في شأنه، والمضلين لأمتي عن طريقته،
[وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون]»^(١)»^(٢).

وعن سعيد بن المسيب، قال: كنا عند أم سلمة فتذاكرنا
المهدي عليه السلام، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من
ولد فاطمة»^(٣).

إلى غير ذلك مما ورد عن رسول الله ﷺ في شأن المهدي
المنتظر عليه السلام.

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٧٣ ب ١ ح ١٩.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة عليه السلام: ج ٢ ص ٤٧٧ ب ٢.

وأما ما صدر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من روايات في حق الإمام المهدي عليه السلام فقد تحدثت عن المهمة التاريخية والدور الذي أنيط به (صلوات الله وسلامه عليه) من تغيير العالم نحو الخير والصلاح، وهدم معازل الظلم والظالمين، ونشر العدل والقسط في ربوع العالم بأسره، وتطوير أفكار الناس وفتح عالم الغيب على عالم الشهادة، وهي مهمة ليست بالهينة.

عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال:

أقبل رجل إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر، فقال: رحمك الله، اقبض هذه الخمسمائة درهم فضعها في مواضعها؛ فإنها زكاة مالي.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «بل خذها أنت، فضعها في جيرانك والأيتام والمساكين، وفي إخوانك من المسلمين، إنما يكون هذا إذا قام قائمنا، فإنه يقسم بالسوية، ويعدل في خلق الرحمن البر منهم والفاجر، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، فإنما سمي المهدي؛ لأنه يهدي لأمر خفي، يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان، وتجمع إليه أموال الدنيا كلها ما في بطن الأرض

وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم الله، فيعطى شيئاً لم يعط أحد كان قبله»^(١).

إن مهمة التغيير نحو الإصلاح التي أشار إليها الإمام الباقر عليه السلام ليست بسيطة ولا تأتي بالتمني، بل تأتي بالعمل الشاق والصعب، فإن عملية التغيير دائماً عملية شاقة وصعبة وتستلزم جهداً ووقتاً طويلاً، حتى يمكن من هداية الناس وجعلهم يتقبلون هذا الأمر برحابة صدر غير معهودة من ذي قبل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أعداء الإمام المنتظر عليه السلام سوف لن يتركوا الإمام عليه السلام وشأنه يعمل في أداء دوره التاريخي المأمول منه، بل سيتحركون ضده، ويحزبون الجيوش ويألبون الناس عليه، ويشيرون الفتن والحروب أمامه ليشوه عن ممارسة دوره في إنقاذ المظلومين والمستضعفين من براثن المستعمرين والكافرين.

إن تهيئة الناس لظهور مولانا المهدي عليه السلام يتطلب من المؤمنين العمل الجاد والإعداد الجيد والتعبئة الجماهيرية العامة من الآن وإلى

(١) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٩ ب ٢ ح ٢.

أن يظهر الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، والسير على خطاه
والامتثال لأمره والاهتداء بنوره.

وهذا ما يؤكد عليه سماحة المرجع الديني الراحل السيد محمد
الحسيني الشيرازي قُدِّسَتْ في كتابه هذا (في مولد الإمام
الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ) من أنه يلزم على المؤمنين أن يقوموا بالتعريف عن
شخصيته المباركة لمختلف الناس مسلمين وغير مسلمين، وتأليف
الكتب عنه والدعوة إليه عبر الاستفادة من التطور العلمي الحاصل
في عالم اليوم، وما هو متوفر من تقنيات عالية، كل حسب موقعه
وطاقته، وإلا كنا مقصرين في حقه عَلَيْهِ السَّلَامُ وحق نبي الإسلام صَلَّى اللهُ
الذي بشر به.

إن مؤسسة المجتبي يسرها أن تقوم بطبع ونشر هذا الكتاب القيم
ليكون في متناول أيدي المؤمنين المتطلعين إلى تلك الطلعة البهية
ليكونوا من جنوده والمقاتلين بين يديه، آمين رب العالمين.
وصلى الله على محمد وأوصيائه الطاهرين.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

كربلاء المقدسة ص ب ١٠٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

ضرورة معرفة الإمام عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(١).

هذه الرواية الشريفة رواها أيضاً أبناء العامة عن النبي صلى الله عليه وآله ، يعني أن الرواية متفق عليها عند السنة والشيعة. فالذي

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٣١ ب ٨ ضمن ح ٣١٧.

(٢) مسند أحمد: ج ٤ ص ٩٦ ط مؤسسة قرطبة مصر، وفيه: (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية). ومثله في مسند الشاميين للطبراني: ج ٢ ص ٤٣٧ ط



يموت ولا يعرف إمام زمانه عليه السلام مات وكأنه في زمان الجاهلية
وعلى هيئة الجاهليين، أي كأنه لم يكن مسلماً.

مفردات الحديث

(ميتة) بالكسر: للحال والهيئة، أي مات على هيئة الجاهليين،
وهناك فرق في لغة العرب بين (ميتة) و(ميتة). ف (ميتة) بالفتح

→

مؤسسة الرسالة بيروت. ومثله في مسند الطيالسي: ج ١ ص ٢٥٩ ط دار المعرفة
بيروت. ومسند أبي يعلى: ج ١٣ ص ٣٦٦ ط دار المأمون للتراث دمشق،
وفيه: (من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية). والمعجم الكبير للطبراني:
ج ١٩ ص ٣٨٨ ط مكتبة العلوم والحكم الموصل. السنة لأبي عاصم: ج ٢
ص ٥٠٣ ط المكتب الإسلامي بيروت. تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٥١٨ ط دار
الفكر بيروت، وفيه: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية).
وصحاح ابن حبان: ج ١٠ ص ٤٣٤ ط مؤسسة الرسالة بيروت، وفيه: (من
مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية). والأحاديث المختارة للحنبلي المقدسي:
ج ٨ ص ١٩٨ ط مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة، وفيه: (من مات وليست
عليه طاعة مات ميتة جاهلية). ومجمع الزوائد: ج ٥ ص ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٣
و ٢٢٤ و ٢٢٥، ط دار الريان للتراث القاهرة، رواه بألفاظ مختلفة. مسند ابن
أبي شيبة: ج ٧ ص ٤٥٧ ط مكتبة الرشد الرياض. المعجم الأوسط للطبراني:
ج ٦ ص ٧٠ و ج ٧ ص ٢٨٧ ط دار الحرمين القاهرة. حلية الأولياء: ج ٣
ص ٢٢٤. ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي: ج ٣ ص ٣٧٢ ب ٩١ ح ٣.

للذات ، وتعني : الشاة الميتة أو الإنسان الميت. أما (ميتة) بالكسر فتعني كيفية الموت. و«مات ميتة الجاهلية» يعني مات كما كان يموت الناس في الجاهلية ، أي : كأنه مات على غير دين الإسلام. وفي مجمع البحرين :

و(الميتة) بالكسر للحال والهيئة ، ومنه (مات ميتة حسنة).

و(ميتة السوء) بفتح السين : هي الحالة التي يكون عليها الإنسان عند الموت ، كالفقر المدقع والوصب الموجه والألم المغلق والأعلال التي تفضي به إلى كفران النعمة ونسيان الذكر ، والأحوال التي تشغله عما له وعليه.

و(مات ميتة جاهلية) : أي كموت أهل الجاهلية.

و(الميتة) بالفتح من الحيوان ، وجمعها (ميتات) ، وأصلها ميتة بالتشديد ، قيل : والتزم التشديد في ميتة الأناسي ، والتخفيف في غير الناس فرقاً بينهما.

و(الميتون) بالتشديد يختص بذكور العقلاء ، والميتات لإنائهم ،

وبالتخفيف للحيوان ، انتهى^(١).

هذا بالنسبة إلى كلمة (ميتة).

(١) مجمع البحرين : ج ٢ ص ٢٢٤ مادة موت.

المعرفة

أما قوله عليه السلام في الحديث الشريف: «ولم يعرف» فلا تعني المعرفة المجردة فقط، بل معناها: المعرفة المستلزمة للولاء والطاعة؛ لأن الكفار أيضاً كانوا يعرفون النبي عليه السلام حق المعرفة، ولكن معرفتهم لم تستلزم الولاء والطاعة له عليه السلام، قال تعالى: [يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ] ^(١)، وفي آية أخرى: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ] ^(٢).

فأولئك الذين كانوا حول النبي عليه السلام، وحول سائر الأنبياء عليهم السلام، وحول الأئمة المعصومين عليهم السلام، كانوا يعرفونهم.. وربما أفضل من الآخرين؛ لأنهم رأوهم بأم أعينهم، ولكن المال والمنصب والتعصب الأعمى وتقليد الآباء والدنيا وزخارفها والشهوات هي التي حالت بينهم وبين الاعتراف بولايتهم، وهذا بحث مفصل ليس هنا موضعه.

إذن فالمراد من: «لم يعرف» ليست معرفة إمام الزمان المجردة

(١) سورة البقرة: ١٤٦، سورة الأنعام: ٢٠.

(٢) سورة النمل: ١٤.

فقط ، فالتوكل العباسي^(١) كان يعرف إمام زمانه وربما أفضل منا ،
فنحن عرفنا الإمام عليه السلام بالسمع وهو عرفه بالرؤية ، وكذلك
المعتمد^(٢) وسائر بني العباس ، وكذلك بنو أمية ومن شابههم ممن

(١) جعفر بن محمد المعتصم بن هارون ، يكنى أبا الفضل ويلقب بالتوكل . عاشر
الحكام العباسيين بويح له بعد الواثق . عرف بتعصبه لمذهب السنة ، ومحاربه
للمعتزلة ، واضطهاده للشيعة . وكان شديد البغض لأمير المؤمنين الإمام علي
بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته ، وكان شديد الوطأة على آل أبي طالب ،
غليظاً على جماعتهم ، شديد الغيظ والحقد عليهم . ومن شدة حقه وغيظه أن
قام بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وحرثه وإجراء الماء عليه في خطة لإعفاء أثره
لكن الماء حار واستدار حول القبر الشريف فسمي بالحاء الحسيني . كما
استعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي فمنع الناس من بر آل أبي
طالب ، فكان لا يبلغه أن أحداً بر واحداً منهم بشيء وإن قل إلا أنهكه عقوبة
وأثقله غمراً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه
واحدة بعد واحدة ثم ينزعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر ، إلى أن
قتل المتوكل (لعنه الله) في ٤ شوال سنة ٢٤٧هـ .

(٢) أحمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم ، يكنى أبا العباس ويلقب بالمعتمد . الحاكم
العباسي الخامس عشر . ولد بسامراء سنة ٢٢٩هـ ، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ
بعد مقتل المهدي بيومين . طالت أيام ملكه وكانت مضطربة كثيرة العزل
والتولية ، وذلك لتدبير الموالي وغلبتهم عليه ، فقام ولي عهده أخوه الموفق
فضبط الأمور ، ولكنه مات سنة ٢٧٨هـ فأهمل أمر الرعية . انتقل المعتمد

←

جحدوا ولاية الأولياء الطاهرين المعصومين عليهم السلام.

فالمعرفة تعني الطاعة، وتعني الولاء، ولهذا يطلق عليها (التولي) في مقابل (التبري) بالياء، أما ما اشتهر على بعض الألسن من قولهم (تولي) و(تبري) بالألف فليس صحيحاً، بل الصحيح (تولي) و(تبري) بالكسر.

فلسفة الحديث

أما بالنسبة إلى فلسفة الحديث، أي لماذا أصبح «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»؟

فالإنسان الذي يصلي ويصوم ويحج ويدفع الحقوق الشرعية ولا يكذب ولا يفعل الموبقات، هو إنسان صالح من هذه النواحي، فكيف إذا لم يعرف إمام الزمان عليه السلام لا يقبل الله تعالى منه، ويقول له: لقد مت ميتة الجاهليين أي كما مات أبو لهب^(١)، وكما مات

→

بالحكم من سامراء إلى بغداد، فلم يعد إليها أحد بعده. مات المعتمد مسموماً، وقيل: رمي في رصاص مذاب. وكان موته ببغداد سنة ٢٧٩هـ وحمل إلى سامراء فدفن فيها.

(١) عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، عم رسول الله ﷺ. كان

←

أبو جهل^(١) وكما مات سائر من في الجاهلية.



من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين. كان غنياً عتياً كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره وحرص عليهم وقتلهم. وفيه نزلت سورة المسد، قال تعالى: [تبت يدا أبي لهب وتب] الآيات. وعداوته للنبي ﷺ وما جرى منه عليه من الأذى أشهر من أن يذكر وكان أحمر الوجه مشرقاً، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها في سنة ٢هـ بعدما رماه الله بالعدسة فقتله، ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثة ما يدفانه حتى انتن في بيته، وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ألا تستحيان أن أبكما قد انتن في بيته لا تغيبانه!. فقالا: إنا نخشى هذه القرحة. قال: فانطلقا فأنا معكما. فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يسمونه، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه.

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام. وكان يقال له: أبو الحكم، فدعاه المسلمون أبا جهل. سأله الأحنس بن شريق الثقفي، وكانا قد استمعا شيئاً من القرآن: ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟. فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفروسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه. والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقاه!. واستمر على عناده، يثير الناس على رسول الله ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى إذا كانت وقعة بدر الكبرى شهدها مع المشركين



في الجواب نقول :

إن هناك أشباهاً لهذا الحديث في العديد من المسائل الشرعية المقدسة، وفيها بحث مفصل، بحيث ترى أمراً واحداً يكون هو الأساس وبدونه لا تقبل الأشياء، أو أن أمراً واحداً يكون بمثابة جميع الأمور، ونحن لا نريد هنا إلا الإشارة إلى ناحية منها وإن كانت الموارد متعددة.

قتل الناس جميعاً

من تلك الموارد المشابهة قوله تعالى في الآية المباركة: [من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً]^(١)، حيث اعتبر الباري عزوجل قتل واحد من الناس كقتلهم جميعاً.

هذا في القتل المحرم، أي في غير القصاص وفي غير الحدود

→

فكان من قتلها كافراً. وأخباره مع النبي ﷺ وكثرة أذاه إياه أشهر من أن يذكر. وقد قال النبي ﷺ فيه: «إن هذا أعتى على الله عزوجل من فرعون، إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحد الله، وإن هذا لما أيقن بالهلاك دعا بالللات والعزى».

(١) سورة المائدة: ٣٢.

الشرعية المقررة، فمرة يُقتل شخص قصاصاً، ومرة يُقتل بحكم الحاكم الشرعي الجامع للشرائط وفي الموارد المقررة، أما غير ذلك أي إذا كان [بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ] فقد جعله الشارع كقتل جميع الناس [فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا] وهذه ليست مبالغة، بل بيان للحكم الواقعي والأثر الحقيقي لقتل الإنسان الواحد، فالقرآن لا يبالغ بل يبين الحقائق كما هي، فيكون معنى الآية: إن من قتل شخصاً واحداً ظلماً، فكأنما قتل جميع البشر منذ أن وجد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى آخر يوم من وجود بنيه في الدنيا.

منكر الضروري كافر

ومن تلك الموارد المشابهة هي ما ذكره الفقهاء في الحكم بالكفر على منكر الضرورة الدينية، هذا إذا لم يكن إنكاره عن شبهة، فإن هناك شروطاً كثيرة للحكم بالكفر ذكرناها في الفقه^(١). فإن من حصلت لديه شبهة لا يحكم بكفره ولا يجوز قتله، بل يلزم البحث معه وفتح الحوار والنقاش الهادف لرفع الشبهة.

أما المعاند الذي ينكر ضرورياً من الضروريات فحكمه الكفر،

(١) راجع موسوعة الفقه: كتاب الحدود والتعزيرات.

حتى إذا كان يصلي ويصوم ويحج ويزكي إلى غيرها من الواجبات .
فمثلاً من يعلم بأن السواك مستحب أكد عليه رسول الله
ﷺ ، ثم أنكر ذلك لا عن شبهة ، قال الفقهاء : يحكم بكفره حتى
إذا كان ملتزماً بسائر الأمور من الصلاة والصيام وما أشبه .

فالمنكر لضروري واحد كمنكر الجميع وذلك لاستلزامه
تكذيب الرسول ﷺ والعياذ بالله ، فحينئذ يكون عند الله في حكم
أبي جهل وسائر المشركين من هذه الحثيثة .

وهذه المسألة أي أن منكر الضرورة كافر ، يكون من أمثال
ما نحن فيه ، حيث قال ﷺ : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات
ميتة جاهلية» .

فلا يقال : كيف يكون كالجاهليين ، مع صلاته وصومه
والتزامه بسائر تكاليفه .

إن فلسفة الأمر واضحة بعد التدقيق والإمعان ، فالسر في كافة
الموارد المذكورة ربما ترجع إلى أمر واحد ولكنها جاءت في صور
مختلفة .

إن معرفة الإمام ﷺ هو الاعتراف بالقيادة الشرعية ، التي
هي الأساس في كل العبادات ، وللتقريب نقول : إن مثلها مثل مقود
السيارة . فالسيارة التي تضم جميع أجزائها وبنحو حسن ، ماذا

سيحدث لها إذا لم تشتمل على المقود؟. إنها تصطدم بالجبل
وتسقط في الوادي فتتلف ويهلك جميع من كان فيها، وحينئذ
لا فائدة في جميع تلك الأجزاء.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى معرفة الإمام عليه السلام وسائر التكاليف
الشرعية.

ثم إن المراد بالقيادة والمعرفة: هو الانقياد والامتثال، والطاعة
والإتباع. فالذي لا يعرف إمام زمانه يكون بحكم الجاهليين، كما
قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإذا قال الإنسان: أنا لا أؤمن بالقيادة الشرعية، فهذا مثله مثل
نصراني صالح في تصرفاته، فهل ينفعه ذلك؟. فالنصراني الذي
يقوم بالأعمال الخيرية، ويعمل المبرات، ويواسي الأيتام، ويقوم
بالآلاف من مثل هذه الأعمال الصالحة، ثم يقول: أنا لا أؤمن
بنبي الإسلام صلى الله عليه وآله. هل تقبل منه تلك الأعمال؟. وما هو حكمه؟.

إنه إنسان كافر، ولا قيمة لما يقوم به من تلك الأعمال، إذا
عرف الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ولم يؤمن به؛ لأن الله سبحانه
ليس بحاجة إلى أعمال البر التي يقوم بها الإنسان، ولا يتقبل الله إلا
من المتقين، كما قال عزوجل: **[إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ**

المتقين^(١)، وقال تعالى: [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه]^(٢).

إن الله أراد منا الطاعة لأوامره والاعتراف بأبيائه وأوليائه عليهم السلام وأخذ الشريعة منهم، وإلا فليس الله محتاجاً لأعمالنا، بل البشر بحاجة إلى ربه عزوجل وإلى فعل الخيرات والاعتقاد بما يجب الاعتقاد به كما بينه الله تعالى.

إذن فالشخص الذي يموت ولم يعرف إمام زمانه - سواء في زمن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أم في زمن الإمام الصادق عليه السلام، أم في زمن الإمام الرضا عليه السلام، أم في زمن الإمام العسكري عليه السلام، وكذلك في زمن الغيبة في عهد مولانا الإمام الحجة المنتظر عليه السلام - يموت ميتة جاهلية. يعني: إنه أبو جهل آخر وإن كان إنساناً صالحاً في سائر أعماله.

أما من يمدح الجماعة الفلانية بأنها تصلي الصلوات في أول أوقاتها، أو أنها تراعي بعض التكليف والأوامر الشرعية، وهم لا يعرفون ولا يعترفون بإمام زمانهم، فإنه لم يلتفت إلى ضرورة

(١) سورة المائدة: ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

التمسك بكل الإسلام وأن البعض منه لا يكفي.

قال تعالى: [أَفْتَوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فلو صلى حتى يصير كالشن البالي، فإن الله يكبه على منخره في النار».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله «لو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم ألف عام، حتى يصير كالشن البالي، ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخره في النار، ثم تلا: [قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى]» (٢) (٣).

وفي هذا المعنى قال الشاعر رحمه الله:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً

وود كل نبي مرسل وولي

وقام ما قام قواماً بلا كسل

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٠٣ ومن سورة حمعسق.

وصام ما صام صواما بلا ملل
وحج ما حج من فرض ومن سنن
وظاف بالبيت حاف غير منتعل
وطار في الجو لا يأوي إلى أحد
وغاص في البحر لا يخشى من البلل
وعاش في الناس آفا مؤلفة
خلوا من الذنب معصوما من الزلل
يكسو اليتامى من الديباج كلهم
ويطعم البائسين البر بالعسل
ما كان في الحشر عند الله منتفعا
إلا بحب أمير المؤمنين علي

فهذه حقيقة حيث يلزم على الإنسان أن يؤمن بجميع ما أمره
الله عزوجل ، ومن أهمها معرفة إمام الزمان عليه السلام ، أما أن يقول :
(قال الله وأقول) فهذا هو الكفر بعينه .

أما ما يقال : من أنهم يصلون أفضل صلاة ، ونصبوا حنفيات
ماء جيدة للحجاج^(١) ، فهذه لا قيمة لها عند الله ، فالله ليس بحاجة

(١) إشارة إلى بعض المظاهر التي أخذ بها الوهابيون التكفيريون من صلوات

إلى حنفيات الماء هذه.

وهذا مثل ابن ملجم (لعنه الله) حيث قتل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أجل الغريزة الجنسية الشيطانية ؛ فلو فرضنا أنه كان يصلي طيلة عمره أحسن صلاة، ويصوم في أشد الأيام حرّاً، فهل ينفعه ذلك وقد أقدم على أكبر جريمة؟.

ذكر المؤرخون: أنه رأى فتاة جميلة تدعى (قطام) فشغف قلبه بها واشتد إعجابه، فتقدم لخطبتها. فقالت: عندي ثلاثة شروط، الشرط الأول ثلاثة آلاف درهم، الشرط الثاني عبد وأمة، الشرط الثالث قتل علي بن أبي طالب!. فهذا الأعرابي الهمجي ومن أجل إطفاء غريزته الجنسية وإشباعها بعدما استحوذ عليه الشيطان، قد أقدم على قتل أمير المؤمنين عليه السلام.

ولنفرض الآن أن البشر كافة ومنذ اليوم الأول لخلقهم وإلى اليوم الآخر قد تجمعوا، وتأتي هذه التي تدعى قطام وتقول لابن ملجم: خذ هذه القبلة الذرية وألقها عليهم حتى تحظى

→

الجماعة وغلق المحلات جبراً لأدائها، وهم يكفّرون المسلمين ويبيحون دماءهم ولا يعتقدون بولاية أهل البيت عليهم السلام وقد أمر الله عزوجل ورسوله عليه السلام بولايتهم واتباعهم.

بمضاجعتي.

ماذا سيفعل هذا المجرم، إنه سيقدم على قتل الناس جميعاً،
فالإنسان الذي أنزلته غريزته الجنسية إلى الوحل لا فرق عنده سواء
قتل شخصاً واحداً أم قتل ملياراً من البشر.

وسواء قتل إنساناً عادياً أم قتل أمير المؤمنين عليه السلام خير البشر.

نعم يقول تعالى: [من قتل نفساً بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في

الأرضِ فكأنما قتل الناس جميعاً]^(١).

ألم يحدث ذلك في هيروشيما في الحرب العالمية الثانية، وأنا
أتذكر الجريمة في حينها، فالضابط المجرم ومن أجل أن تدفع له
حكومته مرتباً شهرياً مقداره كذا من الدولارات، ألقى قنبلتين
ذريتين على مدينتي هيروشيما وناغازاكي^(٢)، فقتل مائتين وخمسين

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) مدينتان يابانيتان، تقع هيروشيما في الجزء الجنوبي الغربي من جزيرة هونشو،
بينما تقع ناغازاكي في الجزء الشمالي الغربي من جزيرة كيوشو. ألقى
الأمريكيون عليهما قنبلهم الذرية بأمر من الرئيس الأميركي هاري ترومان،
الأولى على هيروشيما في ٦ آب / أغسطس ١٩٤٥م فجعلتها قاعاً صفصفاً،
فقضت في الحال على عدد لا يحصى من سكانها، وبعد ثلاثة أيام أي في ٩
آب / أغسطس ١٩٤٥م ألقى القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناغازاكي،



ألف شخص.

وكذلك ما قام به صدام^(١) خلال الحرب العراقية - الإيرانية من

→

فقتلت في الحال أربعين ألف شخص وجرحت أربعين ألفاً آخرين، ومحت جزءاً كبيراً من المدينة.

(١) ولد صدام حسين عام ١٩٣٩م، في قرية العوجة جنوب تكريت التي تبعد مائة ميل شمال بغداد. كان والده يعمل فراشاً في السفارة البريطانية، وأما والدته صبيحة فقد تزوجت بأربعة أزواج، وكان صدام ينتقل معها من بيت زوج إلى بيت زوج آخر. تنامت لديه روح الانتقام، ابتداءً عمليات القتل وهو في السابعة عشر من عمره. اشترك مع بعض عناصر البعث في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٩م، هرب على أثرها إلى سوريا ومنها إلى مصر. اشترك في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨م، وبعد سنتين أصبح نائباً لمجلس قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية في حال غياب البكر عن البلاد، ثم أصبح رئيساً للجمهورية في عام ١٩٧٩م، بعد أن أقصى البكر عن الحكم ومنح نفسه رتبة مهيب ركن. هاجم إيران عام ١٩٨٠م فاندلعت حرب الخليج الأولى، واستمرت ثمان سنوات. احتل الكويت عام ١٩٩٠م فاندلعت حرب الخليج الثانية، وقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بتدمير العراق، ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد. انتفض الشعب فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقي بوحشية لا مثيل لها، فقد قدرت أعداد من قتلوا وأعدموا واختفوا وشردوا ما يزيد على ٥٠٠ ألف عراقي وقيل مليون. قامت أمريكا وحلفاؤها بالهجوم على العراق عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، فاحتلت العراق، وسقط بذلك نظام حكمه الدموي في

←

ضرب الأكراد في مدينة حلبجة بالأسلحة الكيميائية^(١) فقتل في الحال ستة آلاف شخص ما بين صغير وكبير ورجل وامرأة بالإضافة إلى آلاف المجرحي، حتى الحيوانات والنباتات لم تسلم من ذلك فماتت فوراً.

بالإضافة إلى الملايين الذين قتلهم من الشيعة في الجنوب والوسط وغيرهما وفي حرب إيران والكويت وخاصة في الانتفاضة الشعبانية.

فلا فرق في النفس المجرمة سواء أطلقت رصاصة واحدة فقتلت شخصاً واحداً أم ألقَت قبلة وقتلت ربع العالم، والآن إذا سولت له هذه النفس: بإلقاء قبلة وقتل مليون من البشر، سيقدم، فالنتيجة هي واحدة؛ لأنه عندما تحصل الرغبة عند الإنسان في قتل الإنسان، سواء كانت من أجل الغريزة الجنسية أم من أجل المنصب أم من أجل المال أم لأي سبب آخر، فلا فرق عنده سواء قتل

→

٢٠٠٣/٤/٩ م. ألقى القبض عليه يوم الأحد ١٤/١٢/٢٠٠٣ م، قدم إلى المحاكمة يوم الخميس ١/٧/٢٠٠٤ م، بعد تحويل السيادة إلى الحكومة العراقية، وهو الآن رهن الاعتقال.

(١) وذلك في ٢٦ آذار/ مارس ١٩٨٦ م.

شخصاً واحداً أم قتل مائة ألف شخص، يقول الباري عزوجل: [مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا] ^(١).

مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

ثم إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خاطب ابن ملجم حينما ضربه بالسيف، فقال: هل كنت إمام سوء لك؟. هل حبستك؟. هل ضربتك سوطاً؟. هل قتلت أحداً منك؟. هل غصبتك مالك؟. هل ظلمتك؟.

وذلك ليتضح للعالم بأن هذه الجريمة دافعها خبث المجرم فقط وسوء سريرته واستحواذ الشيطان عليه.

قال ابن ملجم: لا، أفأنت تنقذ من في النار؟!.
أي: إنني من أهل النار، وما أقدمتُ عليه هو ما يفعله أهل النار.

حيث من المعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يسيء إلى ابن ملجم مطلقاً في أي حال من الأحوال، كما لم يسيء إلى غيره، بل كان

(١) سورة المائدة: ٣٢.

مثالاً للعدل والإحسان والمحبة والغفران.

ولذلك قال ابن ملجم: أنا من أهل النار.

فالغريزة الجنسية لهذا الإنسان دفعته لأن يقتل علي بن أبي طالب عليه السلام، والآن ما الذي يمنع هذا الإنسان من قتل كافة البشر من أجل غريزته الجنسية.

وهكذا الأمر في منكر الضروري

وهكذا يكون الأمر في من ينكر ضرورياً من ضروريات الدين. فهل يفرق عند إنسان يقول بكذب النبي صلى الله عليه وآله والعياذ بالله، كما حكى القرآن عن لسان الكفار: [كذاب أشير]^(١)، أو يقول: إن السواك لا فائدة فيه وليس بمستحب، وهو يعلم بأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أكد عليه، فالنتيجة واحدة لا فرق بينهما. يعني: إن الإنسان عندما ينكر ضرورة من ضروريات الدين، فحكمه حكم إنكار الرسالة بأجمعها.

هذا بشرط أن لا يكون ذلك عن شبهة، فرمما يقول: إن الحكم الفلاني كان خاصاً بزمان رسول الله صلى الله عليه وآله مثلاً، أو كان خاصاً

(١) سورة القمر: ٢٥.

بظرف مكاني معين، أو قضية في واقعة، أو ما أشبه، فهذا لا يترتب عليه حكم منكر الضروري.

ولكن المعاند الذي يقول: صحيح بأن النبي ﷺ قال كذا، ولكنني أقول في مقابله كذا، كما قال أتاتورك^(١): إن القرآن الذي جاء به محمد ووضعه على البعير وأرسله إلى تركيا، يلزم أن نضعه على نفس البعير ونخرجه من تركيا.

فالمحور في هذه الأمور واحد، ولكل هذه المسائل فلسفة واحدة، وهي فلسفة نفسية وحالة ترتبط بإيمان الفرد، فالحالة النفسية هذه هي التي دعت له لأن ينكر ضرورة من ضروريات

(١) زعيم تركي ولد في سالونيك عام ١٨٨١م، قاد حركة المقاومة العسكرية والسياسية ضد معاهدة سيفر المعقودة في ١٠ آب/أغسطس ١٩٢٠م. قام بتأسيس حزب تركيا الفتاة. أصبح أول رئيس للجمهورية عام ١٩٢٣م، حارب الإسلام وقام بطمس معالمه في هذه البلاد، ألغى الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م وأبدلها بالجمهورية، كما أشاع الفساد والخمور والفجور. أدخل الحروف اللاتينية في اللغة التركية بدل الحروف العربية، فغير كتابة التركية من الحروف العربية إلى اللاتينية. حاول أن يجعل من تركيا بلداً أوروبياً؛ لاعتقاده بأن ذلك هو السبيل الوحيد لتمكينها من اللحاق بركب الحضارة الأوروبية. لقبته الجمعية الوطنية التركية بلقب أتاتورك، أي: أبو الأتراك. توفي عام ١٩٣٨م.

الدين، أو يكون قاتلاً، أو «لم يعرف إمام زمانه» فيكون بلا قيادة شرعية، وهذه الحالة النفسية كما أقدمت على قتل واحد تقدم على قتل الكثيرين، وكما أنكرت ضرورة تنكر سائر الضروريات، وكما لا تقر بالإمام تهمل سائر الواجبات، فكل هذه مردها إلى أمر واحد.

مع رأس المنافقين

كان عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، وقد نزلت فيه سورة (المنافقون) وكان يعرف رسول الله ﷺ معرفة تامة ربما أكثر من العديد من المسلمين الصحابة، لكن هذه المعرفة بوحدها لا تكفي إلا إذا كان الإنسان معتقداً بولاية رسول الله ﷺ واتباعها. وكان النبي ﷺ على معرفة تامة به أيضاً، ولكن الله أمره بمداواة الناس ووصفه ﷺ بالخلق العظيم، حيث قال: [وإنك لعلی خلقٍ عظیم] (١).

فعندما مرض عبد الله بن أبيّ وأشرف على الموت وأخذ يعالج سكراته، أرسل ابنه إلى الرسول الأعظم ﷺ لكي يطلب منه

(١) سورة القلم: ٤.

الحضور عنده وكان ابنه من المؤمنين.

فلبى النبي ﷺ دعوته وذهب لزيارته، مع أنه كان قد آذى النبي ﷺ وتجاسر عليه مراراً، وأفحش له في القول وأهانته، وكان يبيت الأراجيف حوله، وقد كان النبي ﷺ حاكماً ورئيساً للدولة الإسلامية ولم يكن نبياً فقط.

وفي التاريخ: إن عبد الله بن أبيّ عند ما كان يجلس مع أصدقائه المنافقين - وكانوا من الذين يتظاهرون بالإسلام - وكان يمر بهم رسول الله ﷺ، كان عبد الله يضع عباءته على أنفه^(١)، يعني: حتى لا يشم رائحته الكريهة - والعياذ بالله -، هكذا كان يهين النبي ﷺ مع أنه كان يُشم منه أحسن رائحة العطر.

وفي التاريخ أيضاً: إن رسول الله ﷺ كان يحمر وجهه من شدة تأذيه من هذه الإساءة.

هذا الشخص عندما أخذ ينازع الموت قال لابنه: اذهب وادع لي محمداً - وذكر اسم النبي ﷺ - ليأتي لزيارتي.

فذهب ابنه إلى النبي ﷺ وأخبره بالأمر..

فوافق النبي ﷺ بكل رحابة صدر على الذهاب لزيارته،

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٥٣ ب ٣٧.

وكان عبد الله في حال الاحتضار. فقال: يا رسول الله أنا خائف من القبر والقيامة!، وليس لي وسيلة نجاة إلا أن تعطيني رداءك الذي ترثيه ليكفونني به.

نعم، إنه كان يعرف النبي ﷺ كما كان يعرف القبر والقيامة. فخلع النبي ﷺ رداءه وأعطاه إياه في الحال، وأصبح بدنه الشريف عارياً^(١). ولكن عبد الله ابن أبي مات منافقاً، فلم يكن في قلبه يعترف بالرسالة النبوية.

إذن نستنتج مما سبق: أن المراد بالمعرفة في قوله ﷺ: «من لم يعرف إمام زمانه»، المعرفة التي تستلزم الاعتقاد بالولاية لا تلك المعرفة المجردة. ومن هنا ترى أن الروايات التي وردت في تفسير الإيمان تقول: «الإيمان إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان»^(٢).

ولكن عبد الله بن أبي كان يعرف النبي ﷺ قطعاً وربما أفضل منا؛ لأنه قد رآه.. وعند موته كان يتظاهر بحبه للنبي ﷺ، لكنه

(١) راجع الطرائف: ج ٢ ص ٤٤٣ شهادتهم على عمر أنه ما كان يوافق نبيهم ﷺ.

(٢) راجع مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٤٣ - ١٤٤ ب ٢ ح ١٢٦٦٠.

مات منافقاً وفارق الحياة على حال النفاق. فالمعرفة تعني العلم والاعتقاد والانضمام تحت اللواء، وإذا كانت المعرفة بدون الاعتقاد بالولاية والانضمام تحت اللواء فهي لا قيمة لها.

نعمة الاعتقاد بولاية إمام الزمان عليه السلام

إن من سعادتنا نحن الشيعة هو اعترافنا بإمام زماننا الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)، ومن نعم الله تعالى علينا أن خلقنا من أبوين شيعيين، وإلا فطريق الاهتداء كان صعباً.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «ووضعهم من الدنيا مواضعهم»^(١).

وعليه يلزم شكر وتقدير هذه السعادة وهذه النعمة الكبيرة.

ومن أكبر النعم الإلهية وجود إمام زماننا وكونه حياً وإن كنا لا نراه، فهل رأينا السيد المسيح عليه السلام؟ أم هل رأينا النبي موسى عليه السلام؟ أم هل رأينا نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم هل رأينا الإمام الصادق عليه السلام؟ كلا، فالرؤية ليست هي المعيار بل المعرفة هي

(١) نهج البلاغة: الخطب ١٩٣ ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين.

المعيار، إمام زماننا حي وحاضر بيننا ولكنه غائب عن الأنظار، ونحن نقرأ في دعاء الندبة: «أين السبب المتصل بين الأرض والسماء»^(١)، فالفرد الوحيد الذي يربط آلاف الآلاف بالله عزوجل هو بقية الله في الأرض وهو يعيش بين ظهرانيهم.

وفي الروايات أنه عندما يظهر الإمام الحجة عليه السلام يقول كثير من الناس: لقد كنت رأيت هذا الشخص من قبل، ويقول آخر: كنت رأيت في المكان الفلاني، وثالث يقول: كنت شاهدته في اليوم الفلاني. فهو عليه السلام بيننا ومطلع على أحوالنا بإذن الله عزوجل.

ولا يخفى أن علم الإمام عليه السلام علم حضوري وليس كعلمنا، فإن له الإحاطة بالعالم بإذن الله تعالى. كما أن عزرائيل له الإحاطة بالخلق ومن هنا يقبض أرواحهم بكل سهولة.

وفي الحديث الشريف: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل عزرائيل وقال: كيف تتمكن من قبض أرواح البشر في شرق الأرض وغربها؟ قال: يا رسول الله، الدنيا في يدي مثل الدرهم في كف أحدكم، فهل يغيب هذا الدرهم عنه^(٢).

(١) مفاتيح الجنان: دعاء الندبة.

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٣٤ باب غسل الميت ح ٣٥٤.

فالأئمة والأبناء والائمة عليهم السلام هكذا يطلعون على الأمور ليل نهار، فإنهم خلفاء الله، انتخبهم الله واجتباهم، وهناك روايات كثيرة في هذا الباب، فهم حاضرون وناظرون، يسمعون ويفهمون، هكذا خلقهم الله عزوجل وأراد لهم، والأمر بسيط جداً لتعلقه بقدره الله وإرادته عزوجل.

ونحن نقرأ في إذن الدخول عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام وسائر المشاهد: «أشهد أنك تسمع كلامي وترى مقامي وترد سلامي»^(١).

تعريف الإمام عليه السلام للعالم

ثم إنه لا يكفي أن يعرف الإنسان إمام زمانه عليه السلام ويعتقد بولايته فحسب، بل اللازم إرشاد الناس إلى معرفته عليه السلام، فهناك الكثير من الناس لا يعرفون إمام زمانهم، وحينئذ يشملهم قول رسول الله صلوات الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

فمن أهم ما يلزمنا تعريف إمام الزمان للناس، وهذا بحاجة إلى قدر كبير من العمل وتحمل المسؤولية والصبر في سبيل الله.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٤٥ ب ٥٩ ح ١٢١٤٩.

فقدر المعرفة تعريفه ﷺ، مضافاً إلى طاعته والانضمام تحت
لوائه، فهل نصدر عن رأيه أم لا؟.

وقدر المعرفة أن نعرفه ﷺ بأنه عالم بنا، وهو الحجة علينا،
وهو سبب الفيض وواسطته.

وهذه المعرفة بحاجة إلى صفاء النفس وتصفية الروح من أوساخ
الدنيا.

يقول الشاعر ما مضمونه^(١): إن رجال الحقيقة وطلابها هم
الذين يشترون بضاعة لا رواج لها..

وقد رأيت في العراق بعض من كان كذلك، كانوا من الذين
زهدوا في الدنيا واشتروا الآخرة، أحدهم السيد محمد الكوفي رحمته الله،
والآخر السيد مرتضى الطالقاني رحمته الله.

فإن الله لا ينظر إلى الظاهر بل ينظر إلى الباطن أولاً، إنه ينظر
إلى القلب قبل كل شيء، ينظر إلى الجوارح ثم إلى الجوانح، فإن
نظام الله قائم على الباطن قبل الظاهر. فقد ورد في وصية النبي
صلى الله عليه وآله لأبي ذر قوله: «يا أبا ذر، إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى

(١) أصل الشعر بالفارسية:

خریدار بازار بی رونقند کسانیکه مردان راه حقند

أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. يا أبا ذر، إن التقوى هاهنا - وأشار بيده إلى صدره -^(١).

فهؤلاء الذين رأيتهم في العراق كانوا أناساً غير سائر الناس، فكانوا لا يحبون السمعة ولا المظاهر، فإن الله يطلب شيئاً آخر ولا يجب هذه الأشياء الظاهرية، صحيح أن بعض هذه المظاهر لإشكال فيها، ولكن طلاب الحق هم من يعملون من أجل الله لا من أجل السمعة والرياء، ففي كل وقت نفكر فيه بترويج بضاعتنا وهو ما يعرف بالسمعة والتفاضل والسيادة والفخر والكبر وأنا الأعلم وأنا الأفضل وأنا الرائد وأنا وأنا، عند ذلك يلزم أن نعلم بأننا قد أصبحنا من أصحاب الدنيا ولسنا من طلاب الحق.

إخلاص النية شرط التشرف

هناك العديد ممن نال شرف التشرف بلقاء مولانا الإمام الحجة

المنتظر عليه السلام، ومنهم صاحب القصة التالية:

كان أحد الأشخاص المؤمنين يعيش في طهران وعمله بيع

الأقفال، والقصة تعود لخمسين سنة مضت وقد حكيت عن عدة

(١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٦٤ ب ٢٠ ح ١٢٩٥١.

من ثقة طهران ممن رأوه، وأنا أنقلها عن بعض علماء طهران.
فقد كان في زمن البهلوي^(١) بائع أقفال في طهران يجلس في زاوية من السوق ويرتزق منه، وكان إنساناً مستقيماً، حسن النية صافي القلب، وكان نظره على الأرض دائماً لا يرفعه؛ لأن النساء السافرات كانت تمر من أمامه، وكان يسطر أقاله على الأرض وليس له دكان، كما كان صادقاً في معاملته وصحيحاً لا يغش الناس، وهذه خصلة مهمة جداً؛ لأنه جاء في الروايات المتعددة بأنه لا تغرنكم صلاتهم، ولا يغرنكم صومهم، ولكن انظروا إلى مدى

(١) رضا خان المعروف بالبهلوي الأول، ولد عام ١٨٧٨م، دخل في الجيش الإيراني، وأصبح ضابطاً. أطاح بالأسرة القاجارية الحاكمة، وأعلن نفسه شاهاً على إيران عام ١٩٢٥م. حكم بالظلم والجور والاستبداد، ونشر الفساد. تنازل عن الحكم لابنه محمد رضا عام ١٩٤١م تحت ضغط أحداث الحرب العالمية الثانية، بواسطة محمد علي فروغي الذي كتب صيغة الاستقالة له بنفسه. فقال لرجاله وقادة جيشه والضباط عند توديعه في قصر مرمر: إني كبرت وضعفت، فاللزام إعطاء مسؤولية الدولة إلى فرد شاب، وهو ولي العهد وأملي منكم أن تؤازروه وتساعدوه. فخرج من طهران متوجهاً إلى أصفهان، ثم إلى قم فكرمان، ومنها إلى بندر عباس، ثم نقل بكل ذل على ظهر باخرة إنجليزية إلى جزيرة موريس، أحد جزر أفريقيا الجنوبية حيث تمرض فيها، ثم مات وحيداً ذليلاً عام ١٩٤٤م.

أمانتهم وصدقهم^(١)، فإن حفظ الأمانة والصدق في الحياة صعب جداً.

وكان الناس يتعجبون من صدق معاملة هذا الرجل، حيث كان يتعامل بالقيمة الحقيقية لا ينقص ولا يزيد عليها، ولا يحتال في البضاعة الجيدة وغير الجيدة؛ لأن كل بضاعة فيها جيد وغير جيد.

هذا من جانب، ومن جانب آخر كان أحد المشايخ في طهران في المدرسة الفلانية - لم أعد أتذكر اسم المدرسة - يدعى الشيخ حسين، وكان هذا الشيخ رجلاً صالحاً وزاهداً وعابداً، وقد خطر على باله أن يبحث عن إمام الزمان عليه السلام لكي يتشرف بلقائه، ففكر بأن أفضل عمل يقوم به كي يحظى برؤية إمام الزمان عليه السلام هو أن يصوم النهار ويقوم الليل إلى أربعين يوماً، ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أخلص لله أربعين يوماً فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٢)، فاشتغل هذا الشيخ بالصيام في النهار، واجتناب الشبهات والمحرمات، وقضاء أكثر الليل بالعبادات من الصلاة وقراءة القرآن وهكذا.

(١) راجع وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣١٧ ب ١١ ص ١٠٧٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٩ ب ٥٤ ح ٢٥.

مرت ثلاثة أيام وربما أكثر والشيخ مشغول ببرنامجه العبادي الخاص ولم يعلم أحد بذلك، وفي أحد الأيام مر الشيخ من أمام بائع الأقفال، حيث كان طريقه من هناك عادة، وإذا به يرى أن البائع قد قام بعمل غير مألوف، حيث مر من أمامه شخص ذو هوية فسلم الشخص المار عليه، فلما رآه البائع ارتبك وقام من مكانه فوراً وأخذ يقبل يدي هذا الذي سلم عليه وانكب على رجله!. فتعجب الشيخ من عمل هذا البائع، فمن هذا الرجل الذي يحترمه البائع إلى هذه الدرجة؟.

فلما ذهب الرجل تقدم الشيخ إلى البائع وقال له: أي عمل هذا الذي فعلته، ومن كان هذا الشخص؟!
علماً بأنه لم تكن بين الشيخ والبائع معرفة سابقة، فلا الشيخ حسين كان يعرف البائع ولا البائع يعرف الشيخ حسين، وإنما مثله مثل كل شخص يمر من أمام شخص آخر.
فقال البائع له: هو من يتمنى الشيخ حسين رؤيته وذلك بصيام أربعين يوماً وقيام ليلتها بالعبادة!. إنه مولانا الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه).

فالشيخ حسين لم ينل رؤية الإمام عليه السلام إلا في لحظات وهو لا يعرفه، أما هذا الإنسان المؤمن البائع للأقفال فقد سلم الإمام

عليه...

وفي هذه القصة دروس وعبر ينبغي علينا أن نلتفت إليها.
فماذا كان قد فعل بائع الأقفال حتى يسلم عليه إمام الزمان
عليه السلام؟

هذا ما يلزم التفكير فيه دوماً.

فالإنسان المرتبط بالله والذي يريد أن يعمل في سبيل الله وأن
يكون على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام يلزم أن يكون
كذلك، فإن الله لا يعترف بالظواهر ولا ينظر إليها، بل ينظر إلى
القلوب وإلى النيات.

في الحديث الشريف: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم،
وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنيات»^(٢).

وفي الآية المباركة: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»^(٣).

فإنه تعالى يتعامل مع القلوب، حتى إن أولئك الأشرار

(١) جامع الأخبار: ص ١٠٠ ف ٥٦.

(٢) تهذيب الأعمال: ج ١ ص ٨٣ ب ٤ ح ٦٧.

(٣) سورة الشعراء: ٨٩.

يحذرهم الله في القرآن ويقول: [نار الله الموقدة ﴿٦٧﴾ التي تطلع على الأفئدة]^(١)، فالنار ترتبط بقلوبهم قبل جوارحهم، والأفئدة جمع فؤاد يعني: القلب، ذلك المكان الذي جعل من معاوية في النار، وجعل من سلمان في أعلى عليين، إنه القلب، من هنا ترى أن المحور في الآيتين هو القلب.

(١) سورة الهمزة: ٦ - ٧.

قصة من أفغانستان

أفغانستان كانت ولا زالت تعيش بعض العصبية المذهبية الشديدة، وإن قلت يوماً بعد يوم، وقد ظلم الشيعة هناك كثيراً، فقتلوا منهم الكثير حتى أرادوا إبادتهم في قضية عبد الرحمان خان وغيرها^(١).

(١) في العام ١٨٨٠م وجدت بريطانيا نفسها مجبرة على الانسحاب من أفغانستان، لذا عمدت إلى تنصيب عميل لها على البلاد، يكون مطيعاً لها ومنفذاً لأوامرها ورغباتها وأهدافها. وكان الخيار البريطاني المناسب هو (عبد الرحمن خان) الذي كان معروفاً بقساوة القلب، وعديم العاطفة والرحمة، كما كان أنانياً ومستبداً وعنيداً وحقوداً، وكان يحتقر شعبه، ويشعر بعقدة الحقد والضعف والدونية أمام الإنجليز، كما كان معروفاً بحقده وكرهه وعداوته لجميع القوميات الأفغانية والقبائل البشتونية عدا قبيلته، وكان حقه وعداؤه للمسلمين الشيعة والهزارة أشد وأكثر. كما كان شديد العداوة والكرهية للعلماء؛ ويكيل لهم السباب والشتم والإهانات. وكان أول عمل يقوم به بعد الاستيلاء على منطقة ما، هو تخريب المدارس والمساجد والمراكز العلمية والثقافية، وزج العلماء والمثقفين والمفكرين والفنانين وأصحاب المهارات والمهنة في السجون. وعندما استولى على مدينة هراة دمر أكثر من خمسين مدرسة ومسجداً وحسينية. كما هدم مصلى هراة الذي كان يعتبر نموذجاً رائعاً وفريداً





من نوعه في الفن المعماري في آسيا الوسطى، وتراثاً إسلامياً وحضارياً متميزاً في أفغانستان.

وبالرغم من الإرهاب الذي كان يمارسه عبد الرحمن خان، وسياسة البطش والاستبداد والقتل الذي اعتمده لإرساء قواعد نظامه الجائر، لم يستسلم الشعب الأفغاني، وبدأت أصوات المعارضة ترتفع من هنا وهناك، فانطلقت ثورات شعبية عديدة ضده، وكان الثائرون من السنة والشيعة والبشتون والأزبك والهزارة والطاجيك لديهم هدف واحد، هو القضاء على نظامه الجائر، وكانت أهم تلك الثورات: ثورة القبائل البشتونية، وثورة التركستانيين، وثورة المسلمين الشيعة الهزارة.

وقد سعى عبد الرحمن خان للحصول على مبرر ديني وشرعي للقضاء نهائياً على المسلمين الشيعة في هزارةستان؛ لأنه كان يدرك بأن التوسل بالأساليب الدينية والمبررات الشرعية هو السبيل الوحيد لإثارة جميع القبائل الأفغانية السنية ضد المسلمين الشيعة. فاستغل جهل الناس وتخلفهم الكبير واعتقادهم الراسخ بالعلماء ورجال الدين، في سبيل تحقيق أهدافه المشؤومة. لذا فقد طلب من علماء البلاط إصدار فتوى بتكفير المسلمين الشيعة، باعتبارهم متمردين وخارجين على السلطان العادل! ومع الأسف أن عدداً من علماء السوء ووعاظ السلاطين استجابوا لطلبه وأصدروا فتوى بتكفير المسلمين الشيعة!! ويقال: إن عبد الرحمن كان قد حصل على فتوى تكفير المسلمين من علماء نجد والحجاز - كما يفعلون اليوم مع الشعب العراقي المظلوم - وإن العلماء الأفغان استندوا على ذلك، وفيما يلي نص الفتوى:





(بسم الله الرحمن الرحيم، لا يخفى على المسلمين وأتباع المذهب الحنفي الحنيف، أن الأمير عبد الرحمن خان حفظه الله المنان، من شرور البدعة والطغيان، قام بتأديب الهزارة البغاة الأشرار، وبعد أن ظفر على بعضهم، حصل جنود الأمير المنصور على ورقتين من كتاب يسمى (تحفة المواجه) في إحدى المناطق التابعة للهزارة الأشرار، وتتضمن الورقتين أبيات كلها سب وشتم وإهانات صارخة للخلفاء الراشدين الثلاثة، سيدنا أبي بكر الصديق، وسيدنا عمر الفاروق، وسيدنا عثمان ذي النورين (رضي الله عنهم جميعاً)، الذين هم أئمة وقدوة المسلمين. وقد قام ظل الله في الأرض الأمير عبد الرحمن خان، بإرسال الورقتين إلى محكمة الشريعة النبوية العليا في كابل للتحقيق والبت في الأمر، وإبداء رأيها وحكمها الشرعي في المسألة. وبعد أن اطلعت المحكمة على أبيات الكفر والضلال، ومن أجل أن تقطع الطريق على الروافض، وتسلب منهم فرصة الإنكار والتقية والبراءة من مضمون أبيات الرفض، حصلت المحكمة على كتاب (حياة القلوب) تأليف محمد باقر المجلسي ووجدنا نص مضامين تلك الأبيات في ذلك الكتاب المعتبر لدى الروافض. وبعد التحقيق والتحري ثبت لدى محكمة الشريعة النبوية العليا وبدون أدنى شك رفض وكفر وارتداد الهزارة، وبناءً على هذا نحكم نحن في محكمة الشريعة النبوية العليا في كابل بكفر وارتداد الهزارة ووجوب قتلهم قبل التوبة وبعدها. إننا واعتباراً من اليوم نعتبر الهزارة مرتدين وبغاة، ومفسدين في الأرض، وإن قتلهم وتمزيق صفوفهم، وهدم بيوتهم، وسبي نسائهم، هو عين الجهاد، وقوام للدين، ونصرة للإسلام والمسلمين. إن أمر الأمير العادل عبد الرحمن





خان بوجوب محاربة الهزارة البغاة فرض واجب على كل من يمكنه القيام بذلك ، وأن من قتل أحداً من الهزارة أو قُتل دون ذلك يعتبر شهيداً ومجاهداً وغازياً وناصرًا للدين الحنيف ورسول الإسلام. كما أن قتلى الهزارة مخلصون في النار والجحيم. إننا نقدم هذا الحكم الشرعي إلى الأمير العادل عبد الرحمن خان ونرجو من جلالته ومقامه الكريم ، إبلاغ هذا الحكم إلى كافة المسلمين في أفغانستان ، ليعلم جميع المسلمين الأفغان بكفر وارتداد الهزارة ، ووجوب القضاء عليهم في كل مكان).

التوقيع :

المولوي مير فضل الله ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في كابل.

المولوي مير محمد ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في كابل.

المولوي مير نظام الدين ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في كابل.

المولوي عبد الملك ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في كابل.

المولوي عمر عمران ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في كابل.

المولوي مير سيد ظاهر ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في كابل.

المولوي عبد الحميد ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في كابل.

المولوي محمد إسلام ، مستشار محكمة الشريعة النبوية في باميان.

بعد حصول عبد الرحمن على فتاوى تكفير المسلمين الشيعة ، وجد الظروف مناسبة أكثر من أي وقت آخر للانتقام من المسلمين الشيعة. فبادر إلى إرسال عدد من وعاظ السلاطين إلى أقاليم ومدن البلاد ، لإبلاغ الناس فتوى التكفير ، وحث الناس على التطوع والمشاركة في قتال الهزارة. وقد طبعت عشرات





الآلاف النسخ من الفتوى لتوزيعها في مختلف المدن والقرى والأرياف. كما استدعى عبد الرحمن زعماء قبائل البشتون، ولا سيما الحدودية ودعاهم إلى إرسال مقاتليهم للمشاركة في الحرب، ووعدهم بتوزيع أراضي وأموال وممتلكات الهزارة عليهم، ويكون لهم ما غنموه من الأموال وما أسروه من النساء والغلمان. وبهذه الأساليب الخبيثة تمكن عبد الرحمن أن يجند عشرات الآلاف من أبناء القبائل البشتونية، لا سيما القبائل البدوية لمحاربة الهزارة، كما أرسل ١٢٥ ألفاً من قواته النظامية إلى هزارةستان. وبدأت الحرب غير المتكافئة بين المسلمين الشيعة الذين كانوا يدافعون عن مقدساتهم ووجودهم وبين جيش مدجج بأحدث أنواع الأسلحة. وأمر عبد الرحمن بأسر المئات من أبناء الهزارة الذين كانوا في المناطق الواقعة تحت سيطرته، واستخدامهم كدروع بشرية في القتال. وبدأت المعارك بعد هجوم واسع شنته القوات الحكومية من جميع المحاور على مواقع المسلمين الشيعة الذين لم يكن أمامهم خيار سوى المقاومة المستميتة والتصدي بقوة للهجمات الوحشية. ومع أن المسلمين الشيعة كانوا يعرفون عدم جدوى المقاومة، وأن المهاجمين لن يتركوهم وشأنهم حتى إذا انهزموا لمرات عديدة. لكنهم فضلوا المقاومة حتى الموت في ساحة القتال دفاعاً عن العقيدة والإيمان والكرامة على الاستسلام، كما أنهم كانوا على يقين بأنهم سيقتلون سواء قاوموا أم استسلموا. وفي ربيع عام ١٨٩٢م بدأ الهجوم الواسع لقوات عبد الرحمن من خمسة محاور هي: كابل، وغزنة، وقندهار، وهرات، ومزار شريف. وكان السردار عبد القدوس خان المعروف بقساوة قلبه، وعدائه الشديد للمسلمين الشيعة يقود العمليات. وقد أصدر هذا المجرم





وبناءً على تعليمات عبد الرحمن أمراً بقتل جميع الرجال الهزارة دون تمييز بين مسلح وغير مسلح، وحرق المزارع وإتلاف المواد الغذائية، كما أمر بفرض حصار اقتصادي محكم على هزارةستان. وبالرغم من اتساع دائرة العمليات العسكرية والتفوق العددي والتكنولوجي لقوات عبد الرحمن إلا أنها لم تتمكن من التقدم في المناطق الشيعية، إذ كانت تواجه مقاومة عنيفة في جميع المحاور. واستمر هذا الدفاع البطولي والمقاومة المستميتة أكثر من سنة كاملة. وفي صيف عام ١٨٩٣م شددت قوات عبد الرحمن من هجماتها، واستخدمت المدافع الميدانية المتطورة لضرب مواقع المدافعين، كما أن الحصار الاقتصادي وانتشار المجاعة وأنواع الأمراض المعدية بين سكان المنطقة قد أثر في معنويات المدافعين، فتمكنت قوات عبد الرحمن من اختراق بعض المواقع، وإيجاد ثغرات في تحصينات الهزارة. واستولى على المناطق الشيعية بالتدرج واضطر المدافعون إلى الانسحاب إلى منطقة اورزكان القلعة الطبيعية الحصينة للمسلمين الشيعية.

وقد ارتكبت قوات عبد الرحمن مجازر بشعة في المناطق الشيعية، وحولتها إلى مسالخ حقيقية، فقتلت عشرات الآلاف من الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وحفرت مقابر جماعية دفن الناس فيها وهم أحياء. وبعد انسحاب المقاتلين الشيعية إلى اورزكان فرضت القوات الحكومية طوقاً محكماً على المنطقة، وجرت أشد المعارك وأشرسها في تلك المنطقة واستمرت عدة أشهر ولكن أخيراً سقط ذلك الحصن المنيع بعد استشهاد المدافعين والمقاومين. واستولى عبد الرحمن على جميع مناطق هزارةستان بعد قتال دام أكثر من عام





ونصف. وقام عبد الرحمن بارتكاب جرائم ومجازر بشرية، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل قام بمصادرة أفضل الأراضي الزراعية، وتوزيعها على القبائل البدوية الحدودية التي كانت تحت حماية الإنجليز، والمناطق المعتصبة هي: اجرستان، جورة، اورزكان خاص، كيزاب، تيري، دهاود، داي جوبلن. وهذه المناطق تعتبر من أفضل مناطق أفغانستان من الناحية الزراعية حيث خصوبة الأرض، ووفرة المياه، فضلاً عن الموقع الاستراتيجي.

بعد سيطرة عبد الرحمن على المناطق الشيعية في هزارستان، بادرت مرتزقته الأشرار إلى ارتكاب مجازر بشعة وجرائم فظيعة في مختلف المناطق، ولم يتركوا جريمة إلا وارتكبوها. لقد كانت التعليمات المعطاة للجنود واضحة وهي القضاء الكامل على الهزارة. وقد استخدمت مرتزقة عبد الرحمن أسلحة والأساليب في القتل والتعذيب والتنكيل، وكانت تقوم بحرق القرى، وهدم المساجد، وحرق المزارع والأشجار، وإبادة المواشي. كما أنها كانت تمنع الناس من دفن الموتى والقتلى، حتى أن أغلب الجثث كانت تتفسخ وسط البيوت. وقد انتشرت نتيجة ذلك مختلف الأوبئة والأمراض حتى أن بعض الجنود أصيبوا بأمراض خطيرة انتشرت في المنطقة. ومن أساليبهم الوحشية، قطع أطراف المعتقل وتركه ينزف حتى الموت. ومنها تسليط الكلاب المتوحشة على المعتقل وهو مقيد لتنهش من لحمه حتى يموت. ولعل من أشنع جرائمهم وأفظعها ذبح الأطفال والرضع أمام عيون أمهاتهم، واغتصاب الفتيات المسلمات، والاعتداء على النساء بمحضور أرحامهن. ومنها تجريد الطاعنين في السن من النساء والرجال من ثيابهم وشد وثاقهم وتركهم في العراء دون طعام وشراب حتى الموت. وكان





جنود عبد الرحمن يتلذذون من قتل الأطفال، وكانوا يعتبرونه لعبة مسلية ومثيرة. حيث كانوا يرمون الأطفال إلى الأعلى ثم يتلقونهم بسيوفهم ورماحهم ويقطعونهم إرباً إرباً. أما عن معاملتهم مع أسرى الحرب فحدث ولا حرج، حيث كانوا يقطعون أنف الأسير وأذنيه، ويدخلون سيخاً حديدياً ساخناً في عينيه، بعد ذلك كانوا يقطعون يديه ورجليه ويستمرون في طعنه وضربه بالسيف والخناجر حتى الموت.

وكان لدى كل واحد من الضباط عدد من الكلاب المدربة على أكل لحوم البشر، والفتك بالإنسان خلال لحظات. وكان يقدم إلى الكلاب في كل وجبة أسير شيعي مقيد، فكانت الكلاب تفتك به وتأكل من لحمه. وكانوا في أغلب الأحيان يعلقون الأسير في غصن شجرة، ويبقرون بطنه ويخرجون أحشائه، ثم يتركون الكلاب المتوحشة لتأكل من أحشائه ولحمه.

بعد عام كامل من القتل الوحشي والتصفية الجسدية أصدر عبد الرحمن أمراً بوقف قتل الهزارة، وأجاز بيع وشراء أسرى الهزارة، بشرط أن يدفع كل من يبتاع شيعياً ١٠٪ أي عشر ثمنه للدولة. بعد هذا الأمر الجائر بدأت معاناة ومأساة جديدة للمسلمين الشيعة، وكان الجنود ومرترقة النظام يغتصبون الفتيات ونساء الهزارة. وعندما كان أحد من ذوي وأقارب تلك الفتيات يقدم شكوى إلى أمراء الجيش، كان الجنود يدعون بأنهم ابتاعوها من شخص آخر.

وكان الناس يفضلون الموت على الحياة والعيش الذليل، وعلى هذا كانوا يقدمون على الانتحار للتخلص من الأسر، ويقال: بأن مرترقة عبد الرحمن اعتقلت ٤٠٠ امرأة شيعية في منطقة داية بولاية غزنة، وكان من المقرر نقلهن إلى العاصمة لعرضهن في أسواق النخاسة، وعندما وصلن فوق جسر على نهر





جاغوري رمين بأنفسهن في النهر وغرقن في أمواجه. ويقال: بأن ٤٠ فتاة من منطقة اورزكان هربن إلى الجبال من مرتزقة عبد الرحمن، وعندما شعرن بأنهن أمام طريق مسدود، صعدن إلى قمة صخرة عالية ورمين بأنفسهن في وادي سحيق دفعة واحدة، فتقطعت أوصالهن والتحقن بالرفيق الأعلى. وكانت كبيرة الفتيات تدعى شيرين فصار اسمها رمزاً للبطولة والفداء في هزارستان.

وبعد أن أصدر عبد الرحمن أمره بجواز بيع وشراء المسلمين الشيعة، نشطت أسواق النخاسة في كابول وقندهار وغزنة وهرات والمدن الأخرى. وكان الأسرى من النساء والرجال والأطفال يؤخذون إلى كابل والمدن لبيعوا في محلات خاصة. وكانت أنشط المراكز هي العاصمة كابل، حيث كان عبد الرحمن بنفسه يشرف على البيع. وقد حددت الحكومة أسعاراً للأسرى كالتالي: الفتاة الباكرا ١٠ روبيات، والفتاة الشابة ٥ روبيات، والشاب البالغ ١٥ روبية، والصبي دون الخامسة عشر ٥ روبيات.

أما الأطفال وغيرهم فقد كان يتم بيعهم دون التقيد بسعر معين. وكان يتم إيقاف الأسرى بشكل استعراضي، وكل من كان يرغب بشراء أسير كان عليه أن يدفع المبلغ المحدد للأمير عبد الرحمن، ثم يقوم باختيار العبد أو الأمة من بين الأسرى. وما أن يتم اختيار العبد أو الأمة حتى كانت أصوات الطبول ترتفع فرحاً وابتهاجاً. ولا يعلم إلا الله وحده كم عدد المسلمين الشيعة الذين تم بيعهم في أسواق النخاسة في مختلف المدن، إلا أن هناك بعض الأرقام التي تبين جانباً بسيطاً من عدد الأسرى الهزارة الذين تم بيعهم، مع أن مصدر هذه الأرقام هو السلطة الظالمة، إلا أنها تكشف مدى ظلامه المسلمين الشيعة





الزهارة، ومدى حقد وحقارة أعدائهم. فقد ورد في المستندات الحكومية: بأن القاضي ملا خواجه محمد قاضي المحكمة الشرعية في ارزكان، بعث إلى الأمير عبد الرحمن خان مبلغ ١٩٤٠ روبية من الضرائب المأخوذة عن بيع ١٢٩٣ امرأة وطفل شيعي في ارزكان. وفي مدينة قندهار تم بيع ٤٦٦٦٦ شخص ما بين امرأة وفتاة وشاب وطفل.

وكان مسلسل إبادة المسلمين الشيعة مستمراً بكل وحشية وقساوة وبربرية إلى أن أخبر الشيخ الآخوند ملا كاظم الهروي صاحب كتاب كفاية الأصول، سماحة آية الله العظمى السيد ميرزا حسن الشيرازي قده عن الأوضاع المأساوية للشيعة في أفغانستان، فبعث رسالة شديدة اللهجة إلى ناصر الدين شاه ملك إيران، وأمره أن يطلب من بريطانيا الإعياز إلى عبد الرحمن بوقف مجازر المسلمين الشيعة، وهدد سماحته في حال استمرار المجازر فإنه سيتخذ قرارات حاسمة. وأبلغ ناصر الدين شاه رسالة الإمام الشيرازي إلى الإنجليز الذين طلبوا من عميلهم عبد الرحمن وقف المجازر فوراً. وبناء على أوامر الإنجليز فقد أوقف (عبد الرحمن) مسلسل إبادة المسلمين الشيعة، وأمر بانسحاب قوات الجيش من هزراستان.

لقد كانت رسالة الإمام الشيرازي سبباً في وقف إبادة المسلمين الشيعة، ومن الغريب أن العديد من وسائل الإعلام والصحف الإسلامية التي تكتب عن حياة الإمام الشيرازي، لم تنطرق إلى هذه الرسالة التاريخية الهامة التي أنقذت حياة عدة ملايين من المسلمين الشيعة، ولا شك في أنها لا تقل في الأهمية عن فتوى التنباك وغيره.



وقد حدثني المرحوم المدرس الأفغاني^(١) رَحِمَهُ اللهُ وذلك عند ما كان يأتينا للزيارة بعد ما يُنهى تدريسه، قال: إن القبيلة الفلانية في أفغانستان - ولا أريد ذكر اسمها - كانت متعصبة ضدنا نحن الشيعة بصورة شديدة، يقول: وفي إحدى المرات جمعتني الصدفة مع أربعة منهم في السيارة وكنا نريد الذهاب من مدينة إلى أخرى، ومن



وبعد تحرك الميرزا الشيرازي خف أعمال القتل ومسلسل إبادة المسلمين الشيعة إلى حد كبير، إلا أن عملية التجويع والقهر والإذلال استمرت فيما بعد، وقد حرم المسلمين الشيعة من جميع حقوقهم الاجتماعية والإنسانية، وأصبحت مناطقهم محرومة من كل الخدمات، وحتى الآن تعتبر المناطق الشيعة من أكثر المناطق حرماناً في أفغانستان. كما رأينا هذه الحالة في العراق أيام حكم المجرم صدام المخلوع.

(١) ولد العلامة الشيخ محمد علي المدرس الأفغاني في ولاية غزني بأفغانستان، وبدأ دراسته الابتدائية في أوائل سني عمره، ثم هاجر في شبابه إلى النجف الأشرف، وتابع دراسته هناك في حوزتها العلمية حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، بالرغم من المشاكل التي واجهته من الفقر وعدم السكن. تتلمذ على يديه آلاف من الطلبة من شتى الأقطار الإسلامية، وتشهد له بذلك الحوزات العلمية في النجف وقم ومشهد. توفي (رضوان الله عليه) ليلة ٢١ من شهر ذي الحجة، على أثر نوبة قلبية في إحدى مستشفيات مدينة قم المقدسة. ألف العديد من الكتب وفي شتى العلوم المختلفة، كالنحو والمنطق والمعاني والبيان والتفسير.

أجل إضفاء جو المحبة والصدقة عندما وصلنا إلى محل الاستراحة فقد ذهبت إلى المقهى وطلبت من صاحب المقهى أن يعطيني شايًا بالإبريق مع الأقداح والصينية، لا أن يعطيني الشاي بيدي، فأعطاني إبريق الشاي ومعه الأقداح والسكر بعدما وضعها جميعاً في صينية، فأخذتها وقد وضعت يدي تحتها وجئت بها وكانوا أربعة وقلت: لهم تفضلوا. قالوا: لا نشرب، قلت: لماذا؟. قالوا: لأنك نجس. قلت: لو سلمنا بأنني نجس! ولكني لم ألمسه بيدي. قالوا: كلا، ما أن لمست يدك الصينية فقد تنجس الشاي جميعاً.

الاستغاثة بالإمام الحجة عليه السلام

ذكر لي أحد المؤمنين من أفغانستان قبل أربعين عاماً وذلك عندما كنا في العراق، قال: في أحد الأيام وصلت إلى قبيلة متعصبة جداً، لذلك فقد أخفيت مذهبي خوفاً على نفسي. قال: وقد أُجبرت على البقاء هناك مدة، فرأيت في القبيلة شاباً من نفس القبيلة، أبوه فلان، وكان شاباً في الخامسة أو السادسة والعشرين من العمر، وكان شيعياً قوياً في اعتقاده. قال: فتعجبت كثيراً، فسألته يوماً: ألسنت ابن فلان؟. ألسنت شقيق فلان وفلان؟. وكلهم

كانوا من أبناء العامة، فكيف تكون قبيلتك بهذا التعصب وأنت شيعي هكذا؟. وكيف لم ينزلوا بك بلاءً لحد الآن؟. قال: في الحقيقة أنهم لم ينزلوا عليّ بلاءً؛ لأن القبيلة سابقاً قد اتفقت فيما بينها على أن لا يغدر أحد بأحد.

لقد كان أبو لهب ضد النبي ﷺ ولكنه كان يقول: إن محمداً مني فلا أدعكم تهجمون على داره في قصة الهجرة المشهورة^(١)، بالرغم أنه كان من أشد أعداء رسول الله ﷺ.

فقلت له: فكيف أصبحت شيعياً؟.

قال: إن لي قصة عجيبة، فقد كانت لي (داية) - أي: مرضعة - شيعية^(٢) وكانت من غير قبيلتنا، وكانت فقيرة، وبقيت عندها إلى أن أصبح عمري خمس أو ست سنوات، وكنت أحياناً أزورها في شبابي، وكانت قبيلتنا تقول عنها: إنها نجسة، فلا يأكلون معها،

(١) فقد ورد في قصة الهجرة المباركة: أنه لما أمسى رسول الله ﷺ، جاءت قریش ليدخلوا عليه. فقال أبو لهب: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل؛ فإن في الدار صبياناً ونساءً، ولا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة، فنحرسه الليلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ. راجع تفسير القمي: ج ١ ص ٢٧٥ مبيت علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ.

(٢) وتسمى المرضعة في اللهجة الأفغانية بـ (لله).

وكانت امرأة طيبة تصلي وتصوم وتقرأ القرآن. وفي أحد الأيام قلت لها: أنت امرأة طيبة، تصلين وتصومين وتقرئين القرآن، وأنت طاهرة وأمينة ولا تكذبين، فلم يقول عنكِ هؤلاء بأنكِ كافرة؟! قالت: دعك من هذا.

قال: فأصررت عليها.

فقالت: في الحقيقة نحن وهؤلاء مذهبان، ونحن على مذهب الشيعة.

قلت: وما الذي في مذهب الشيعة من زيادة أو نقصان؟

قالت: نحن إمامية اثنا عشرية ومن أتباع أهل البيت عليهم السلام، ثم أخذت تذكر أسماء الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، وبعدما وصلت إلى الإمام الحجة عليه السلام، قالت: إن هذا الإمام حي وموجود، وسيأتي في يوم ما ليملاً الأرض بالقسط والعدل بعد ما ملئت بالظلم والجور.

قلت لها: وما الفائدة في أن يكون غائباً ثم يأتي بعد مائة أو مائتي سنة أو أكثر؟

قالت: من فوائده أنه إذا ما وقع إنسان في مشكلة فاستغاث به يغيثه، كأن ضل في الصحراء أو البحر أو ما أشبهه.

انتهى حديثنا آنذاك، إلى أن عزمت على الحج، وكان السفر

للحج بواسطة الجمال - لأنه وإلى خمسين سنة قبل لم تكن السيارات موجودة، وكان الناس يسافرون على الجمال وما أشبهه - قال: ركبنا الجمال وذهبت مع القافلة إلى الحج، وفي أحد الأيام تعبنا جميعاً، فالطريق طويل، والصحراء والحجر والبرد وقلة الطعام، وقد دخل الليل فنامت القافلة ونمت أنا أيضاً، وفجأة استيقظت من حرارة الشمس فلم أر أحداً في الصحراء، وولم يكن بعيري موجوداً، فقد ذهب الجميع وفقدت راحلتي، فاستوحشت وحشة شديدة من هذا الأمر ولم استوحش طول عمري مثل هذا، فالخوف من اللصوص - فاللصوص في السابق كانوا يقتلون الإنسان في كثير من الأحيان، ولا يكتفون بسرقة، بل ربما كانوا يتعدون على عرضه سواء كان شاباً أم فتاة - والخوف من الحيوانات المفترسة في الصحراء، فماذا أفعل - فالإنسان الذي يقع في مأزق مثل هذا يفهم معنى هذا الكلام، وأي وحشة تسيطر عليه؛ لأنه هناك صفات لدى الإنسان يفهمها في وقتها، ولكن لا يمكنه فهمها من القصة - قال: لقد تملكني هكذا شعور، وفي هذا الأثناء تذكرت تلك الداية المرضعة وحديثها عن الإمام الحجة عليه السلام، فقررت الاستغاثة بالحجة عليه السلام، فاستغثت به وفجأة شاهدت فارساً قد قصدني وقال: ما تريد؟. قال: عندما جاء لم أعرفه وفكرت أنه

شخص عادي، فقال: ما تريد؟. وقد تكلم معي باللغة الفارسية وباللهجة الأفغانية.

قلت: لقد ظللت الطريق، وقد تركتني القافلة، وأنا قلق ومضطرب.

قال: لا عليك.. اتبعني. وكان هو على الفرس وأنا راجل، فتحركنا خطوتين أو ثلاث خطوات، فقال: هذه قافلتك. وما أن قال: هذه قافلتك، حتى خطر ببالي من يكون هذا!! فنظرت فلم أره وانتهى الأمر، فعرفت في وقتها أنه الإمام الحجة عليه السلام، وكانت ما قالته الداية لي حقاً، فتشيعت في الحال وقدمت إلى مكة، فالتقيت بعالم من علماء الشيعة وسألته عن آداب التشيع، فعلمني ذلك، ومنذ ذلك الحين أنا شيعي، ومهما حاولت القافلة والأقرباء والأصدقاء بأن أرجع عن التشيع لم يتغير رأبي لأنني عرفت الحق فاتبعته عن قناعة.

اعتراف شاعر النيل

هناك الكثير ممن يعرف الحق ولكن لا يعترف به ولا يتبعه، فالحديث النبوي الشريف الذي يصرح بأن: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، أي لم يعترف به، و: إلا فإن هذا

الحديث رواه أبناء العامة أيضاً^(١)، كما أنهم ذكروا قول خليفتهم الثاني: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)^(٢). وقوله: (لولا علي لهلك عمر)^(٣).

وكذلك بالنسبة إلى ما جرى من الظلم على الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وهجوم القوم على الباب.

ومع ذلك كله لم يعترفوا بولاية الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام.

(١) راجع مسند أبي داود الطيالسي: ص ٢٥٩ زيد بن أسلم عن ابن عمر. كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم: ص ٤٨٩ ح ١٠٥٧. مسند أبي يعلى: ج ١٣ ص ٣٦٦ ح ٧٣٧٥. مسند ابن حبان: ج ١٠ ص ٤٣٤. المعجم الأوسط للطبراني: ج ٦ ص ٧٠. المعجم الكبير للطبراني: ج ١٢ ص ٣٣٧، وغيرها وهي كثير.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٨. نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص ١٣٢.

(٣) راجع تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص ١٥٢. فتح الملك العلي لأحمد بن الصديق المغربي: ص ٧١. دفع الارتياب عن حديث الباب لعلي بن محمد العلوي: ص ١٦.

كان فاروق^(١) ملك مصر قبل عبد الناصر^(٢) ..

علماً بأن مصر كانت من بلاد الشيعة ولكن بعد ما قتل صلاح

(١) هو فاروق بن الملك أحمد فؤاد بن الملك إسماعيل الخديوي بن إبراهيم بن محمد علي. وهو آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي، وآخر من لقب بالملك فيها. ولد في القاهرة عام ١٩٢٠م، وتعلم بها وبفرنسا وإنجلترا. خلف أباه على ملك مصر سنة ١٩٣٦م، اتسم حكمه بالفساد والاستهتار والاستبداد، وبالصرع المتواصل مع حزب الوفد، فأرغمته ثورة ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢م، بقيادة جمال عبد الناصر على التخلي عن العرش، فخلع نفسه متناًزلاً عن العرش لابنه الطفل أحمد فؤاد الثاني، ولكن رجال الانقلاب ما لبثوا أن أطاحوا بالنظام الملكي. وبذلك انتهى حكم سلالة محمد علي لمصر، وتحولت مصر إلى جمهورية. عاش فاروق منفياً في روما يزور منها أحياناً سويسرا وفرنسا إلى أن توفي عام ١٩٦٥م في روما. وكان قد أوصى بأن يدفن في المدينة المنورة.

(٢) زعيم عسكري وسياسي مصري، ولد عام ١٩١٨م. قام بانقلاب ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢م فأطاح بالنظام الملكي في مصر، وأجبر الملك فاروق على التخلي عن العرش. استلم رئاسة الوزراء عام ١٩٥٤م، ثم استلم رئاسة الجمهورية عام ١٩٥٦م، فأعلن تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م وقام ببناء السد العالي. سار بمصر في طريق التحول الاشتراكي، واستعان بالاتحاد السوفياتي سابقاً على تزويد الجيش المصري بالسلح الحديث، توفي في القاهرة عام ١٩٧٠م ودفن بها.

الدين الأيوبي^(١) جميع الشيعة هناك وأسقط الدولة الفاطمية^(٢)

(١) هو يوسف بن أيوب بن شاذي، ولد عام ٥٣٢ هـ في تكريت ونشأ في دمشق. دخل مع أبيه وعمه في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، واشترك مع عمه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر عام ٥٥٩ هـ ظهرت فيها مزاياه العسكرية. اختاره العاضد الفاطمي للوزارة وقيادة الجيش ولقبه بالملك الناصر، ولكن سرعان ما غدر به صلاح الدين واستقل بملك مصر، فقد كان صلاح الدين حاقداً على الدولة الفاطمية، فتحالف مع القاضي عبد الرحيم اليبساني على القضاء على الدولة الفاطمية، فقام بعزل القضاة الشيعة، ولما تم له ذلك استبد بالسلطة وأسس الدولة الأيوبية عام ٥٦٤ هـ، والتي امتد سلطانها من النيل إلى دجلة وقد اتسمت بنفسها الطائفي السني والحد على الشيعة. تمرد صلاح الدين على نور الدين زنكي، واستولى على الشام عام ٥٧٠ هـ كما استولى على بعلبك وحمص وحماة وحلب، وفي أيامه وقعت عدة حروب مع الصليبيين. توفي عام ٥٨٩ هـ وقبره في دمشق خلف الجامع الأموي. للتفصيل انظر كتاب (صلاح الدين والتعصب الطائفي) للإمام الشيرازي رحمته الله.

(٢) قامت الدولة الفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء عليها السلام في المغرب، ثم في مصر، أسسها في بلاد المغرب عبيد الله المهدي سنة ٢٩٨ هـ لتبقى دولة عظيمة حتى سنة ٥٦٧ هـ حيث قضى عليها صلاح الدين الأيوبي، وكانت المهدي في تونس عاصمة الفاطميين ثم أصبحت القاهرة. نشرت الدولة الفاطمية ألوية الإسلام وعلوم الشيعة في مصر والشام والحجاز ووسط آسيا، وأقامت مدينة القاهرة، وأنشأت الجامع الأزهر. بسط الفاطميون سلطانهم على أفريقيا من المحيط

←

تغيرت المعادلة..

وكان في عهد فاروق شاعر مصر المعروف حافظ إبراهيم^(١)



الأطلسي حتى برزخ السويس والشام، وكانت لهم السلطة في اليمن، ولولا هزيمة جيوشهم أمام الأتراك بقيادة طغرل بك سنة ٤٥١هـ لبلغوا جبال الهملايا. كانت الدولة الفاطمية أكبر دول العالم، قوة عسكرية وفكرية في العصور الوسطى، تتمثل فيها وحدة المسلمين وسماحة الدين، وقد سعد فيها المسلمون والمسيحيون واليهود والذميون.

(١) محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم والمعروف بشاعر النيل، كان شاعر مصر ومدون أحداثها نيفاً وربع قرن. ولد عام ١٢٨٧هـ في ذهبية. توفي أبوه بعد عامين من ولادته، ثم ماتت أمه بعد ذلك بقليل، وقد جاءت به إلى القاهرة فنشأ يتيماً. نظم الشعر في أثناء الدراسة، ولما شب أتلّف شعر الحداثة جميعاً. اشتغل محامياً مع بعض المحامين في طنطا، بالقاهرة. التحق بالمدرسة الحربية وتخرج سنة ١٣٠٧هـ برتبة ملازم ثان بالطوبجية. سافر مع حملة السودان فأقام مدة في سواكن والخرطوم. ألّف مع بعض الضباط المصريين جمعية سرية، اكتشفها الإنجليز فحاكموا أعضائها ومنهم حافظ إبراهيم فأحيل إلى الاستيداع، فلجأ إلى الشيخ محمد عبده وكان يرعاه، فأعيد إلى الخدمة في البوليس. ثم أحيل على التقاعد فاشتغل محرراً في جريدة الأهرام، ولقب بشاعر النيل فطار صيته واشتهر شعره ونثره. انقطع للنظم والتأليف زمناً، ثم عين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٩هـ، فاستمر بها إلى قبيل وفاته. كان قوي الحافظة وراوية، كما كان كريم



والذي يسمى ب: (شاعر النيل)، والنيل نهر مصر، فيعني شاعر البلاد، وله ديوان شعر وقد قرأت ديوانه أنا شخصياً ولا أنقل عن أحد، وديوانه موجود يباع. وقد أقام الملك فاروق احتفالاً عظيماً حضره كافة الوزراء والعسكر وعلماء الأزهر، فألقى حافظ إبراهيم قصيدته التي يقول في مطلعها:

حسبي وحسب القوافي حين ألقيا

إني إلى ساحة الفاروق أهديها

يعني: يكفيني فخراً أن أهدي قصيدتي هذه إلى الفاروق.

ف قيل له: وأي فاروق تريد، هذا الفاروق، أم عمر؟.

قال: أي منهما قصدتم فهو صحيح.

ثم ألقى قصيدته، إلى أن وصل إلى هذا البيت:

وقولة لعلي قالها عمر



اليد في حال البؤس والرخاء. يتسم شعره بإبداع في الصوغ امتاز به عن أكثر أقرانه. توفي بالقاهرة عام ١٣٥١هـ. من آثاره: (ديوان حافظ)، و(ليالي سطوح)، و(كتيب في الاقتصاد)، و(التربية الأولية). كما شارك في ترجمة كتاب (الموجز في علم الاقتصاد) عن الفرنسية.

أكرم بسامعها أعظم بملقبها

حرقت دارك لا أبقى عليك بها

إن لم تباع وبت المصطفى فيها

لاحظوا أنهم يعرفون كل شيء، ولكن مجرد هذه المعرفة لا

تكفي، بل يلزم أن تكون المعرفة مستلزمة لما يترتب عليها.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى مولانا الإمام المهدي المنتظر عليه السلام،

فإن أبناء العامة كتبوا ورووا حول الإمام المهدي عليه السلام الكثير من

الكتب والروايات، ولكن هذا بوحده لا يكفي^(١).

(١) راجع كتاب: (المهدي عليه السلام في القرآن)، و(المهدي عليه السلام في السنة)، للمرجع

الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دامت ظلاله.

تعريف الناس بالإمام الحجة عليه السلام

نحن أناس قد منّ الله علينا بمعرفة إمام زماننا الإمام الحجة عليه السلام والاعتقاد به، فعلينا أن نسعى لهداية الآخرين أيضاً إلى ذلك.

إن الله قد أعطانا شمساً مضيئة لكننا جعلناها منحصرة بمكان خاص، فلا يكفي مجرد الدعاء للإمام عليه السلام بالفرج والتوسل إليه، والقيام ببعض الوظائف المذكورة من التصدق وما أشبهه، بل علينا مسؤولية هداية الآخرين لمعرفة هذا الإمام العظيم والاعتقاد بولايته.

فيلزم على كل واحد منا أن يسعى لنشر اسم الإمام عليه السلام وعلومه ومدرسته في العالم أجمع، عبر طبع ونشر الكتب وتقديم البرامج التلفزيونية في الفضائيات وغيرها، والاستفادة من الانترنت وما أشبه لتعريف العالم بالإمام عليه السلام.

يوجد في قم المقدسة أحد العلماء - والذي لا يرغب في ذكر اسمه - وقد أتعب نفسه منذ سبع إلى عشر سنوات بجمع الكتب التي ألفت حول الإمام الحجة عليه السلام، وقبل أسبوع أو عشرة أيام أخبرني بأنه تمكن من جمع اسم ألف وثلاثمائة كتاب دونت حول الإمام

عليه السلام بشكل مستقل باللغة العربية والفارسية وغيرها.

فقلت له : أتعلم كم نحن مقصرون في حق امام الزمان عليه السلام ، فإن الإمام عليه السلام موجود منذ اثني عشر قرناً تقريباً ، إذ ولد (سلام الله عليه وعجل الله فرجه) في سنة مائتين وخمسة وخمسين للهجرة ونحن الآن في سنة ألف وأربعمائة و عدة سنوات للهجرة ، ولم يكتب حول الإمام عليه السلام سوى ١١٠٠ إلى ١٢٠٠ كتاب ، حسب البحث الطويل الذي دام عدة سنوات لاستقراء هذه الكتب ، وهذا يعني أن معدل الكتابة هو كتاب واحد فقط لكل سنة . وإذا ما نظرنا إلى الأرقام العالمية فسرى كم هذا الرقم ضئيل وقليل .

قاعة (إقبال) في المكتبة البريطانية

ثم نقلت له ما كتب حول إقبال اللاهوري^(١) :

فقلت : إن أربعة أشخاص قبل خمسين سنة - وأنا أتذكرهم جميعاً - قد أتعبوا أنفسهم من أجل استقلال باكستان ، وهم :

(١) شاعر وفيلسوف مسلم ولد عام ١٨٧٥م ، نظم باللغة الفارسية والأوردية . كان أول من دعا إلى إنشاء دولة باكستان ، أشهر آثاره الشعرية قصيدة طويلة عنوانها (أسرار خودي) أي : أسرار النفس عام ١٨١٥م ، وأهم آثاره الفلسفية (إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام) عام ١٩٣٤م ، توفي عام ١٩٣٨م .

١ : محمد علي جناح^(١).

٢ : خان عبد الغفار خان.

٣ : إقبال اللاهوري.

٤ : راجو محمود آباد.

وقد شاهدت هذا الأخير عندما جاء إلى العراق للزيارة، فهؤلاء الأربعة قد تحملوا المشاق والمتاعب الكبيرة وضحوا بأموالهم وأنفسهم فجعلوا من باكستان دولة مستقلة، وقد رحلوا كلهم عن الدنيا، أحد هؤلاء الأربعة اسمه إقبال، وإقبال توفي حديثاً يعني قبل ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة، أما خان عبد الغفار خان فقبل عشر سنوات، لقد كانوا معاصرين لنا.

وكان إقبال أشهرهم، وقد كتب عنه أصدقاؤه كثيراً من الكتب في تاريخه وسيرته، فكم بلغ عدد الكتب التي كتبت عنه؟. إنها بلغت خمسة آلاف كتاب وكراس.

(١) سياسي هندي مسلم، ولد عام ١٨٧٦م. ارتبط اسمه بالعصبة الإسلامية، بعد أن تولى رئاستها الدائمة عام ١٩٣٤م، وهي منظمة سياسية أنشئت في الهند عام ١٩٠٦م للدفاع عن المسلمين في تلك البلاد من أجل تحقيق الحكم الذاتي لمسلمي الهند، ثم من أجل إقامة دولة لهم منفصلة، يعتبر أبا دولة باكستان ومؤسسها وأول رئيس لها ١٩٤٧م، توفي عام ١٩٤٨م.

ينقل أحد المعاصرين له وهو من أصدقائنا المعتمدين، ويقول:
لقد سافرت إلى بريطانيا، فذهبت إلى المكتبة الوطنية هناك، فسألت
أمين المكتبة وقلت: هل عندكم كتاب حول إقبال؟.

قال: ليس عندنا كتاباً فقط بل عندنا قاعة خاصة حول إقبال
وتدعى: (قاعة إقبال)، وكان يتكلم بالفارسية.
فقلت: أتأذن لي بدخولها؟.

قال: تفضل، وأرسل معي شخصاً ليرشدني، وكانت القاعة
كبيرة، وكانت مملوءة بأقفاص الكتب من أرضها إلى سقفها، وكان
جميعها حول إقبال.

قال: بما أنني كنت أعرف أربع لغات هي: الفارسية والعربية
والتركية والأردية. قلت: وأين هي؟.

قال: هناك، وأرشدني إليها بحيث كان مجموع هذه الكتب
باللغات الأربعة يبلغ أربعمئة وعشرون كتاباً قد طبعت بهذه
اللغات، بالإضافة إلى كتب أخرى بسائر اللغات كالصينية والهندية
والإنجليزية وما أشبه فلم أحصها، ولكن الذي أحصيتها بهذه
اللغات الأربعة فقط بلغ أربعمئة وعشرين كتاباً.

والآن كم نحن مقصرون وقاصرون في حق الإمام الحجة عليه السلام.
فإقبال كان فرداً نشطاً وشاعراً معروفاً وله عدة قصائد، وقد

قرأت بعض قصائده، وبيته موجود إلى الآن في باكستان وقد تحول إلى متحف، إنه يكتب عنه خمسة آلاف عنوان بحيث تشكل مكتبة كاملة، عندها نحن وخلال اثني عشر قرناً لم نكتب حول الإمام الحجة عليه السلام سوى ألف وثلاثمائة كتاب.

إن قم وحدها تتمكن من تعريف إمام الزمان عليه السلام إلى العالم بأجمعه، ففي قم يوجد خمسة وعشرون ألف رجل دين، فإذا ما كتب كل واحد منهم كتاباً حول إمام الزمان عليه السلام خلال سنة واحدة، فكم يصبح العدد دفعة واحدة، يصبح خمسة أضعاف الكتب المؤلفة حول إقبال.

لكننا ومع الأسف أصبحنا أمة متأخرة ومتخلفة، فلا نعمل بمسؤولياتنا الدينية تجاه أئمتنا الطاهرين عليهم السلام، بالرغم من أننا كنا أصحاب الهمم والثقافة والتقدم في بدو الأمر، حيث كانت المهمة هممتنا، والتقدم لعلومنا، فإن تطور الغرب وتقدمه كان ببركة علوم الإسلام وعلوم أهل البيت عليهم السلام.

تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام

العلامة السيد حسن الصدر^(١) من علماء الشيعة المرموقين ألف كتاباً تحت عنوان: (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام)^(٢) يقول في هذا

(١) السيد حسن بن هادي بن محمد علي بن صالح بن محمد بن زين العابدين الحسيني المعروف بالسيد حسن الصدر. عالم فقيه من أكابر علماء العراق عظيم الخلق والخلق، ولد في الكاظمية يوم الجمعة ٢٩ رمضان عام ١٢٧٢هـ من أسرة كبيرة أصلها من جبل عامل سكنت أصفهان وانتقل بعضها إلى العراق. قرأ على أبيه ومشايخ العراق، وقد جمع إلى فضيلة العلم والبيان طلاقة الوجه واللسان، وقد عرف بالزهد والتقوى، فقد كانت تجبى له الأموال من أتباعه ومريديه في سائر البلاد الإسلامية فينفقها في سبيل البر ويعيش زاهداً متقشفاً على حصر. وهو والد السيد محمد الصدر الذي شغل منصب رئاسة الوزراء العراق في العهد الملكي. له مصنفات كثيرة في الفقه والتاريخ والحديث تجاوزت المائة، ومنها: نهاية الدراية، ذكرى المحسنين، نزهة أهل الحرمين في تواريخ تعمير المشهدين بالنجف وكربلاء، رسالة في الرد على الوهابية، سبيل الرشاد في السلوك، الشيعة وفنون الإسلام، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، الدرر الموسوية في شرح العقائد الجعفرية، وفيات الأعلام من الشيعة الكرام، تعريف الجنان في حقوق الإخوان. توفي ببغداد في ١١ ربيع الأول ١٣٥٤هـ.

(٢) وهو كتاب لا نظير له في باب، تتبع فيه السيد الجليل العلوم الإسلامية ذكراً،



الكتاب: إن الشيعة هم الذين أسسوا كافة العلوم الإسلامية، ثم إن سائر المذاهب أخذوا منهم^(١)، لقد ذكر ابن أبي الحديد^(١) في شرحه



واستقصاها سبراً، واستوفى البحث عن مؤسسيها، وأمعن في التقيب عن طبقات المصنفين فيها، فأثبت بالبرهان وأظهر للعيان سبق الإمامية في جميع الفنون الإسلامية، وهذا مما لم يسبق إليه، وقد اختصره فسماه (الشيعة وفنون الإسلام) فطار صيته وانتشر الكتاب، واطلع عليه الخاص والعام. ويعود السبب في تأليف هذا الكتاب وغيره، هو زعم البعض من الأفاكين: بأن (الشيعة ليس لها مؤلفات، يستفيد بها خلفهم في شتى العلوم، ولا جرم أنهم متطفلون على موائد غيرهم، متسولون من البعداء متكفون في علومهم). وهذا ليس بمستغرب ممن ابتعد عن أهل البيت عليهم السلام وعلومهم. فقد انبرى ثلاثة من العلماء الأعلام للرد على هؤلاء المفترين، وهم آية الله السيد حسن الصدر رضي الله عنه فألف كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام)، والعلامة السيد محسن الأمين العاملي رضي الله عنه فألف كتاب (أعيان الشيعة)، والعلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني رضي الله عنه فألف كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، بعزم ولا يعرف الفشل ونشاط لا يقله الكلل، والمثابرة على العمل والسعي المتواصل ويعمل يردف بعضه بعضاً، حتى تمكنوا من دحض قول المتخرصون، وإثبات أسبقية الشيعة في شتى العلوم التي ورثوها عن أئمة الهدى عليهم السلام، وبذلك أسدوا للدين والمذهب الحق خدمة لا تقدر بثمن، فجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

(١) انظر مقدمة الكتاب.

لنهج البلاغة: إن كافة العلوم قد أخذت عن علي بن أبي طالب
عليه السلام (٢).

لا حظوا بأن مثل ابن أبي الحديد والذي لم يكن شيعياً يعترف
بأننا كنا في المقدمة.

ولكن ماذا حصل لنا حيث تأخرنا قليلاً قليلاً؟.

نعم يلزم علينا أن نجدد نشاطنا في مختلف المجالات وخاصة فيما
يرتبط بتعريف الأئمة الطاهرين عليهم السلام إلى العالم، فنؤلف الكتب
حول الإمام الحجة عليه السلام ليتعرف على وجوده المبارك جميع الناس
ويعرفون أنه المنقذ الحقيقي الحي، فالأئمة عليهم السلام كلهم منقذون ولا
شبهة في الموضوع، ولكن هذا العصر هو عصر الإمام المهدي عليه السلام،



(١) أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، عالم
بالأدب، ومن أعيان المعتزلة، له شعر جيد وإطلاع واسع على التاريخ. ولد في
المدائن عام ٥٨٦هـ. انتقل إلى بغداد وخدم في الدواوين السلطانية، فبرع في
الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي. له مصنفات عديدة منها: شرح
نهج البلاغة، الفلك الدائر على المثل السائر، نظم فصيح ثعلب، القصائد
السبع العلويات، العبقري الحسان، شرح الآيات البيئات للفخر الرازي. توفي
بيгдаد عام ٦٥٦هـ عن عمر يناهز السبعين عاماً.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٧ القول في نسب أمير المؤمنين
علي عليه السلام وذكر لمع سيرة من فضائله.

وهو المنقذ للبشرية بإذن الله تعالى ، مضافاً إلى أن الأئمة عليهم السلام هم الذين أمرونا وأرشدونا نحو الإمام عليه السلام.

كان أحد الأشخاص المؤمنين يزور الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة لحاجة له وذلك لمدة غير قصيرة، فرأى الإمام الحسين عليه السلام في عالم الرؤيا وهو يقول له: اذهب إلى سامراء واطلب حاجتك من الإمام الحجة عليه السلام؛ لأنه إمامك الحي. وهذا لا ينافي ما ورد من أن الدعاء تحت قبة الإمام الحسين عليه السلام مستجاب حتماً^(١).

كما أن الإمام الهادي عليه السلام في قصة أرسل شخصاً إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ليدعو الله تعالى.

فعن سهل بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري، قال: بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة، وأخبرني محمد: ما زال يقول: «ابعثوا إلى الحَيْرِ، ابعثوا إلى الحَيْرِ»^(٢). فقلت لمحمد: ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحَيْرِ.

ثم دخلت عليه، وقلت له: جعلت فداك، أنا أذهب إلى

(١) راجع وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٣٧ ب ٧٦.

(٢) أي: ابعثوا رجلاً إلى حائر الحسين عليه السلام يدعولي هناك.

الحَيْرِ. فقال عليه السلام: «انظروا في ذلك»^(١)...

قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع بالحَيْرِ، وهو الحَيْرِ^(٢)؟.

فقدمت العسكر فدخلت عليه، فقال لي: «اجلس» حين أردت القيام، فلما رأيته أنس بي ذكرت له قول علي بن بلال. فقال لي: «ألا قلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر، وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله عزوجل أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يجب الله أن يذكر فيها، فأنا أحب أن يدعى الله لي حيث يجب الله أن يدعى فيها» الحديث^(٣).

فإن ما قام به الإمام الهادي عليه السلام يدل على موضوعية الحائر الحسيني الشريف لاستجابة الدعاء، كما هو تعليم لنا، وكذلك قصة ذلك الزائر الذي أرسله الإمام الحسين عليه السلام إلى سامراء، فإنه

(١) فإن الذهاب إلى كربلاء كان مظنة للأذى والضرر، فانظروا في ذلك، لأن المتوكل (لعنه الله) كان يمنع الناس من زيارة الإمام الحسين عليه السلام أشد المنع.

(٢) أي: هو في الشرف مثل الحائر الحسيني الشريف، فأى حاجة له في أن يدعى له عند قبر الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٧ - ٥٦٨ ح ٣.

للتعليم أيضاً بحيث نسعى وراء إيماننا الحي.

الخاتمة

وفي الختام ينبغي التأكيد على ضرورة النشاط الثقافي والتبليغي للتعريف بالإمام الحجة عليه السلام إلى العالم كافة، وذلك بتأليف كل واحد من طلبة العلوم الدينية وغيرهم من المؤمنين كتاباً حول الإمام عليه السلام، وترجمة هذه الكتب إلى مختلف اللغات العالمية.

بالإضافة إلى ضرورة الاستفادة من التقنيات الحديثة لتعريف الناس بإمام زمانهم عليه السلام من الإذاعات والفضائيات والانترنت وغيرها.

نسأل الله عزوجل أن يعجل في ظهوره الشريف، وأن يجعلنا من أتباعه وأنصاره، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

الفهرس

| | |
|----|---|
| ٦ | كلمة الناشر |
| ١٣ | ضرورة معرفة الإمام <small>عليه السلام</small> |
| ١٤ | مفردات الحديث |
| ١٦ | المعرفة |
| ١٨ | فلسفة الحديث |
| ٢٠ | قتل الناس جميعاً |
| ٢١ | منكر الضروري كافر |
| ٣١ | مع الإمام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> |
| ٣٤ | مع رأس المنافقين |
| ٣٧ | نعمة الاعتقاد بولاية إمام الزمان <small>عليه السلام</small> |
| ٣٩ | تعريف الإمام <small>عليه السلام</small> للعالم |
| ٤١ | إخلاص النية شرط التشرف |
| ٤٧ | قصة من أفغانستان |
| ٥٨ | الاستغاثة بالإمام الحجة <small>عليه السلام</small> |
| ٦٢ | اعتراف شاعر النيل |
| ٦٩ | تعريف الناس بالإمام الحجة <small>عليه السلام</small> |
| ٧٠ | قاعة (إقبال) في المكتبة البريطانية |
| ٧٤ | تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام |
| ٨٠ | الخاتمة |

